كلمة العـــدد :

شهـــر الشـــوق

بقلم : البشير الأخضر

شهر ماي يختلف عن غيره من الأشهر فهو بلا منازع شهر الانتظار، نعم الانتظار بما يحمله من شوق وتطلع وأحلام، بما يخفيه من رهبة ووساوس وهواجس، بما يسببه من قلق ولهفة ورهبة هو بحق شهر التشوّق .

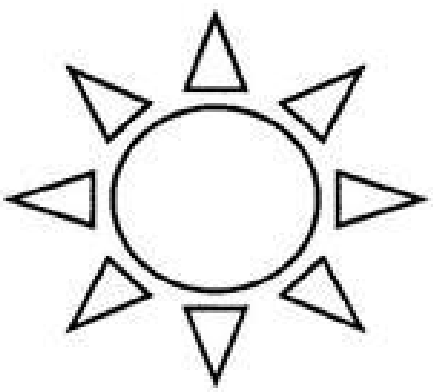
ففي ماي تزدهر المزارع وتزهو الحقول وتبدأ استعدادات الحصاد فيتزع الفلاح برنس الشتاء ويلبس جبّة الأفراح منتظرا موسم حصاد الحقول الزاهية بما تحمله من ثمار وحبوب وأعلاف وما تزرعه فيه من آمال وأحلام وتطلعات.

في شهر ماي تصل البرامج الدراسية إلى نهايتها وتشرئب الأعناق إلى موسم الامتحانات، فهي الأسر تشد الآزار وتستقر القدرات، وها هو ذلك التلميذ الصغير يحترق شوقا للامتحان ويرتجف خوفا من نتائجه، وها هو الطالب يستعد لتتويج دراسته بشهادة طالما حلم بها بعد ما عاشه من جهد وانتظار خلال سنوات تبدو طويلة قد تكون سنة الباكالوريا أصعبها وأحلاها.

هي الجمعيات الرياضية تنتظر في لهفة وشوق نتائج موسم اختلطت

فيه الفرحة بالحسرة و الأمل باليأس وعاشت خلاله الجماهير طعم الفرحة ومرارة الخيبة، فبين الأمل في الصعود والفوز بالبطولة وبين تفادي النزول وضمان البقاء تتوزع المشاعر في جوّ من الانتظار الرهيب. وهؤلاء الأجراء ينتظرون في شوق مآل المفاوضات الاجتماعية وما قد تحمله من إجابات لأسئلة وتطلعات حول الزيادات المرتقبة في الأجور. أما هؤلاء وهم الأكثر شوقا فهم العرسان ومن حولهم من عائلات ينتظرون بدايات الصيف للانطلاق في إعداد مواسم الأفراح وإعداد العدّة لحفل الزواج ودعوة الأحبّة والأصدقاء والأقارب والبحث عن الفرق والقاعات وقاعات الحلاقة والخزفان والعجول السمان.

ها هو شهر ماي قد حلّ بيننا والإتحاف مع كلّ هؤلاء تنتظر موعد الاحتفال بعيد ميلادها وتنتظر غدا تتمنى أن يكون أكثر إشراقا مثلها مثل طفل صغير ينتظر عيد الأمهات ليهدي وردة جميلة لأمه تعبيرا عن حبّه ورضاه، مثلها مثل شباب يتطلع إلى صيف ممتع بين شواطئ البحر ومسارح المهرجانات الصيفية. الكلّ ينتظر، والكلّ في شوق، وحتى نلتقي في موعد الأفراح لكم من الإتحاف أجمل الأماني.



الشيخ محمد الخضر حسين (3)

بقلم: د. انور بن خليفة.

تفسير القرآن بأقوال الصحابة و التابعين: من مصادره في التفسير بالأثر ما روي على الصحابة رضي الله عنهم وخاصة ما جاء عن طريق ابن عباس "ترجمان القرآن". و قد اعتبر الشيخ محمد الخضر حسين أن تفسير الصحابة للقرآن يلي بالمكانة تفسير الرسول صلى الله عليه و سلم.

و النماذج التالية من التفسير تُظهر مدى اعتماده على هذا الجانب الذي يعتبر أحد أركان التفسير بالمأثور حيث قال محمد الخضر حسين في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ على ما رزقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَام ﴾[1].

"ذكر اسم الله : حمده و تقديسه. و الأيام المعلومات : الأيام العشر عند جماعة من الصحابة و التابعين، منهم ابن عباس والحسن البصري. و به قال أبو حنيفة و ذهب جماعة منهم مالك بن أنس و أصحابه إلى أن الأيام المعلومات يوم النحر ويومان

(1) الحج الآية 26.

بعده... و المعنى يقدسون الله و يحمدونه شكرا على ما رزقهم من بهيمة الأنعام"[2].

تفسير القرآن باعتماد أسباب النزول: الذي يطلع على تفسير الشيخ محمد الخضر حسين يلفت انتباهه كثرة عنايته بأسباب النزول و رفضه اعتماد المفسرين على الكثير من الروايات الضعيفة حتى أوهموا كثيرا من الناس أن القرآن لا تنزل آياته إلا لأجل حوادث .. والقرآن الكريم عنده " أتى للإصلاح والهداية.."[3]. و نموذج ذلك ما ذكره بصدد تفسير قوله تعالى : ﴿ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾[4].

"لما ذكر في الآية السابقة أن الأهلة مواقيت للحج، صح أن يوصل ذلك بإنكار عادة جرى عليها الأنصار في حجهم فقال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾. هذه العادة كما روى في سبب نزول الآية، أن الأنصار كانوا إذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية لم يدخل بيتا من بابه، بل كان يدخل من نقب من ظهره، أو يتخذ سلما يصعد فيه، فقيل لهم : ليس البر بتحرجكم من إتيان المنازل من أبوابها "[5].

(2) محمد الخضر حسين "أسرار التنزيل" ص 349 .
(3) محمد الخضر حسين " بلاغة القرآن " ص 26.
(4) البقرة الآية 188.
(5) محمد الخضر حسين " أسرار التنزيل " ص 307.

– تفسير القرآن باعتماد القراءات: اهتم الخضر حسين في تفسيره بالقراءات و اعتمدها في بيان معاني القرآن الكريم و ترجيح بعض المعاني على بعض و من نماذج ذلك ما قاله في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[6]

يقول "المالك : وصف من الملك " بكسر الميم " والدين الجزاء : أي أنه تعالى يتصرف في أمور الدين تصرف المالك فيما يملك. كما قال تعالى ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَ الأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ﴾[7] وقُرِىء (ملك يوم الدين) من الملك (بضم الميم) و معناه المدبر لأمور يوم الدين كما قال تعالى ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[8] "[9].

و مما تقدم نلاحظ أن محمد الخضر حسين قد اقتصر على الروايات الصحيحة دون الشاذة حيث لم نجده يطرح قضية اختلاف القراءات. و نهجه لهذا الخط جعله في غنى عن نقد بعض القراءات وقد كانت موافقة القراءة للغة العربية من أهم الشروط التي حرص الشيخ على توافرها في القراءة خاصة لغرض تفسير آيات الذكر الحكيم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(6) الفاتحة الآية 3.
(7) الانفطار الآية 19.
(8) غافر الآية 16.
(9) محمد الخضر حسين "أسرار التنزيل" ص 9.

– **الأخـــذ عن التوراة و الإنجيل:** لم يختلف المعاصرون عن القدامى في الرجوع إلى التوراة والإنجيل في تفسيرهم للقرآن، فهاهو محمد الخضر حسين يعتمدهما في تفسيره لبعض الآيات على غرار ما قاله في تفسير قوله تعالى ﴿ الذِّينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الذِّي يجدونهُ مكتُوبـًا عِنـــدهُمْ فِـــي التـــوْرَاة و الإنجيلِ يأمُرُهُمْ بالمعْرُوفِ و يَنْهَاهُمْ عَنِ المنكَرِ ﴾[10]

"فهذه الآية صريحة في أن المصطفى صلى الله عليه و سلم مكتوب في التوراة و الإنجيل و المراد بكتابته فيهما ذكر مبعثه ودعوته و شيء من نعوته و هذا المعنى موجود في الكتابين يقينا.ومن البشائر الباقية في التوراة و الإنجيل إلى هذا العهد ما جاء في سفر التثنية من التوراة (أقيم لهم نبيا من وسط إخوتك مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به). و النبي المماثل لموسى عليه السلام في الرسالة العظيمة والشريعة المستأنفة هو سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و إخوة بني إسرائيل هم العرب لأنهما يجتمعان في إبراهيم عليه السلام..." .[11]

و من خلال هذا النموذج و غيره يتجلى لنا أن الشيخ محمد الخضر حسين قد اعتمد على التوافق الوارد بين القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية من حيث تأكيدها على نبوة الرسول محمد

---

(10) الأعراف الآية 157.

(11) محمد الخضر حسين "محمد رسول الله و خاتم النبيين" ص 45-46 .

صلى الله عليه و سلم والتكامل بين الرسالات السماوية مما يثبت وحدة المصدر.

الأساس الثالث: التفسير بالرأي:

يعتبر التفسيرُ بالرأي من الوسائل المعتمدة في تفسير الشيخ محمد الخضر حسين للقرآن الكريم إضافة إلى التفسير باللغة والتفسير بالمأثور.

و التفسيرُ بالرَّأي أو التفسيرُ العقلي هو ما يقابل التفسير النقلي إذ " يعتمد على الفهم العميق والمركز لمعاني الألفاظ القرآنية بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ وفهم دلالاتها "[12].

وعلى هذا فالتفسير بالرأي يقوم على الاجتهاد في فهم الآيات القرآنية و إدراك مقاصدها اعتمادا على كلام العرب و " الوقوف على معرفة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و ما يتبع ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر "[13]. و كان رجالُ التفسير الذين أخذ عنهم الشيخ محمد الخضر حسين في معظمهم ينتمون إلى المدرسة العقلية في التفسير[14] بدءا بالزمخشري (ت

(12) خالد عبد الرحمان العك "أصول التفسير و قواعده" دار النفائس بيروت ط 2 1986م ص 117.

(13) ن م ص .

(14) لمزيد التعرف على المدرسة العقلية القديمة و المدرسة العقلية الحديثة راجع "منهج المدرسة العقلية في التفسير" – لفهد الرومي.

538هـ) فالرازي (تـ 606 هـ) في القديم و انتهاء بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في العصر الحديث . ومن هذا المنطلق سأحاول أن أبيّن منهج الشيخ محمد الخضر حسين وموقفه من قضية التفسير بالرأي و كيف اعتمد المنهج العقلي في " أسرار التنزيل ". ونجده يحدد ضوابط التفسير بالرأي إذ يقول " تفسير يستند إلى فهم علماء اللغة و البلاغة "[15].

و من مظاهر التفسير بالرأي نجد:

– **استخدام الترجيح**: استخدم الشيخ محمد الخضر حسين في ترجيحه لما يتعرض له من تفسير بعض الآيات على قواعد أساسية و هي كما وقفتُ عليها. أولها **لغوي** و الثاني **مأثور** والثالث **عقلي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن النماذج الدّالـــةِ على استخدام الجانب **اللغوي** في الترجيح أو التضعيف ما يلي :

1 . الترجيح باللغة : قال تعالى : ﴿ الذِّي خَلَـقَكُمْ وَالذِّينَ مِنْ قَـبْـلِكُمْ لَـعَلَّـكُمْ تَـتَّـقُون ﴾[16]

يقول :" لعل : حرف موضوع ليدل على الترجي و هو توقع حصول الشيء عندما يحصل بسببه وتـنـتـفي موانعه . والشيء المتوقع حصوله في الآية هي التقوى و سببه هي العبادة إذ

(15) محمد الخضر حسين "بلاغة القرآن" ص 23.
(16) البقرة الآية 20.

بالعبادة يستعد الإنسان لأن يبـــلغ درجة التقوى و هي الفوز بالهدى و الفلاح . و الترجي قد يكون من جهة المتكلم و هو الشائع و قد تستعمل لعل في الكلام على أن يكون الترجي مصروفا للمخاطب فيكون المترجي هو المخاطب لا المتكلم . و على هذا الوجه يحمل الترجي في هذه الآية لاستحالة حصول الشيء من عالم الغيب و الشهادة : لأن توقع الإنسان لحصول الشيء هو أن يكون مترددا بين الوقوع و عدمه مع رجحان الوقوع و المعنى اعبدوا ربكم راجين أن تكونوا من المتقين و هم البالغون الغاية في الهدى والفلاح [17].

2 – الترجيح بالأثر : و من نماذج استخدام المأثور في الترجيح ما ذكره الخضر حسين عند تفسيره قوله تعالى : ﴿ ...فمَنِ تَبِـــعَ هُدَايَ فَلَا خوفٌ عليهِمْ و لا هُمْ يَحْزَنُون ﴾[18]

إذ يقول: "...و ليس ببعيد أن يكون معنى (لا خوف عليهم) أنهم بلغوا استقامة السيرة و فضل التقوى حيث لا يخاف عليهم أحد أن يصيبهم في يوم الجزاء مكروه.و نفي الخوف و الحزن ورد في الآية على وجه الإطلاق : و ظاهره أن المهتدين لا يعتريهم الخوف و لا الحزن في دنياهم و لا في آخرتهم . و لكن قوله فيما يقابله من جزاء الكافرين : (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

---

(17) محمد الخضر حسين "أسرار التنزيل" ص 38.
(18) البقرة الآية 37.

يرجح أن يكون المراد نفي الخوف و الحزن عنهم في الدار الآخرة. ثم إن الذين يتقون الله حق تقاته قد يأخذهم شيء من الحزن في الدنيا . وأوضح شاهد على هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم عند احتضار ابنه إبراهيم عليه السلام :(" إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ وَالقَلْبَ يَحْزَنُ وَ لَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا وَ إِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيم لَمَحْزُونُون)"[19] و قول يعقوب عليه السلام فيما قصه الله في القرآن : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللهِ ﴾[20] و نفي الخوف و الحزن عن المهتدين يوم القيامة كناية عن سلامتهم من العذاب وفوزهم بالنعم الخالدة في الجنة فتتم المقابلة بين جزاء المهتدين وجزاء الكافرين المشار إليه بقوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون[21] ﴾"[22]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

3. الترجيح بالعقل : أما استخدامه للجانب العقلي في الترجيح فمن شواهد ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى:

أ- ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ و مَا كانوا مُهْتَدِين ﴾[23]

يقول "جاءت هذه الجملة عقب الحديث عن استبدال المنافقين الضلالة بالهدى فيكون المعنى : و ما كانوا مهتدين إلى

---

(19) رواه البخاري كتاب " الجنائز " باب " قول النبي إنا بك لمحزونون" ج1/ ص 402 حديث رقم 1303.

(20) يوسف الآية 86.

(21)- البقرة الآية 39 .

(22) محمد الخضر حسين" أسرار التنزيل" ص 67.

(23) البقرة الآية 15.

سبيل الرشد و ما تتجه إليه العقول الراجحة من الدين الحق. ويصح أن يراعى في هذه الجملة إخراج ذلك الاستبدال في صورة المبايعة التجارية فيكون المعنى و ما كانوا مهتدين إلى طرق التجارة الرابحة حيث باعوا الهدى الذي هو مطلع النجاح و السعادة بالضلالة التي هي مهواة الخيبة و الشقاء "[24].

ب- ﴿ولا تَهِنُوا في ابْتِغَاءِ القَوْمِ إن تكونوا تألمُونَ فإنَّهُمْ يألمونَ كمَا تألمونَ و تَرجونَ من الله ما لا يَرجُونَ و كانَ الله عليمًا حَكِيمًا﴾ [25]

يقول : " ذكّر المسلمين في هذه الآية بأن ما عسى أن يلاقوه من آلام الحروب يلاقي خصومهم مثلها . فكأنه يقول لهم لا ينبغي أن يكون خصومكم و هم أشياع الباطل أصبرَ على الآلام وأثبتَ في مواقف الأخطار منكم و أنتم حماة الحق والدعاة إلى الخير و لا سيما حماة يرجون نصر الله و جزاء مثوبته ما لا يرجوه أعداؤهم الغاوون المفسدون"[26]

- موقف الخضر حسين من الأقوال المختلفة في التفسير:

نجد محمد الخضر حسين يعرض الأقوال المختلفة في تفسير الآية الواحدة ثم يحاول التوفيق بينها إن أمكن له ذلك. فإن لم يمكن

---

(24) محمد الخضر حسين "أسرار التنزيل" ص 30.
(25) النساء الآية 103.
(26) محمد الخضر حسين "رسائل الإصلاح" ص 30 .

الجمع قارن بين الآراء و رجح فيها ما رآه راجحا بالدليل. و من نماذج ذلك كما ورد في تفسيره نذكر :

قوله تعالى ﴿و قَالوا مَاهِيَ إلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ و نَحْيَا و ما يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ﴾(27)

يقول: " من المفسرين من حمل الآية على قوم ينكرون وجود الخالق وهذا ما سلكه القرطبي في تفسيره إذ قال في تفسير هذه الآية : وكان المشركون أصنافا منهم هؤلاء و منهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث . وجرى على هذا أبو البقاء في كلياته فقال : و الدَّهري بالفتح هو الذي يقول العالم موجود ازلا و أبدا، و لا صانع له و ماهي إلا حياتنا الدنيا... ومن المفسرين من جعل الآية محتملة لأن تكون في قوم لا يعرفون الله و لا يقرون به وهم الدهرية و أن تكون في قوم يقرون بالخالق و ينكرون البعث وينسبون الآفات إلى الدهر لجهلهم أنها مقدرة من الله و جرى على هذا أبو حيان في تفسيره البحر.

و ليس في الآية ما يدل على أن هؤلاء القوم يقرون بالإله أو يجحدون به . فمن ذهب إلى أن موردها قوم لا يقرون بالإله فلأن إضافة الحوادث إلى الدهر مقترنة بإنكار البعث شأن الدهريين الذين ينكرون وجود الخالق جل شانه ." (28)

---

(27) الجاثية الآية 24 .

(28) محمد الخضر حسين "محمد رسول الله و خاتم النبيين" ص 28-29.

– **التفسير بالعقل و النقل:** يتضح لي من خلال ما وقفتُ عليه من "أسرار التنزيل " و بقية آثاره أن الشيخ محمد الخضر حسين يراوح بين التفسير بالرواية (النقل) و بين التفسير بالدراية (العقل) و يزاوج بينهما .

1.المراوحة بين العقل و النقل : – قال تعالى :﴿ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيرٌ لَكُمْ ﴾[29]

يقول: " هذا الخطاب لمطيقي الصيام من الذين خيروا بين الصوم و الفدية فهي من متممات قوله تعالى : ﴿وَ عَلَى الذِّينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَة طعَامِ مِسْكِين[30] ﴾.و المعنى : أن الصوم أفضل من الفدية : ذلك أن الفوائد الروحية و الاجتماعية التي تحصل بالصوم أرجح من الفوائد التي تحصل بالفدية و يصح أن تكون هذه الجملة موصولة بقوله تعالى: (كتب عليكم الصيام) فيكون المراد منها فرض عليكم الصيام الخ. ثم قال (و أن تصوموا خير لكم) أي أن الصوم من الأعمال التي تورثكم خيرا عظيما "[31].

2– المزاوجة بين العقل و النقل : قال تعالى : ﴿ ... إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاواتِ و الأرضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ﴾[32].

---

(29) البقرة الآية 183.
(30) - البقرة الآية 184
(31) محمد الخضر حسين "أسرار التنزيل" ص 294.
(32) البقرة الآية 163.

يقول "لما تضمنت الآية السابقة إثبات وجوده تعالى و نفي الإلهية عما سواه جاءت هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها منبهة لبعض الأدلة على وجوده تعالى . و قد اشتملت على آيات يخرج الناظر من التفكير فيها إلى بطلان ما يفعله طوائف من البشر من عبادة بعض المخلوقات كالكواكب و النار والحيوان و الأحجار برغم أنها آلهة أو شركاء الله في إلهيته. وأول هذه الآيات السموات. فقال تعالى :﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ السموات جمع سماء . والسماء كل ما علا كالسقف. والمراد في الآية الأجرام المقابلة للأرض و هي سبع كما ورد ذلك صريحا في قوله تعالى ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (33) . ذكرها القرآن هنا في جملة المصنوعات التي يجد فيها الناظر آيات عظيمة على وجود الله ووحدانيته . و نبه في آيات أخرى على بعض وجوه الاعتبار فيها من نحو تزيينها بمصابيح، ورفعها بغير عمد.»(34)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– **الصيغ الدالة على إعماله الرأي:** إذا نظرنا إلى تفسير محمد الخضر حسين للقرآن الكريم من خلال كتاب **"أسرار التنزيل"** وجدْنا صيغا متنوعة و متعددة عبر بها عن استعماله للرأي و إعطاء وجهة نظره المخالفة لغيره من المفسرين و يمكن حصرُ هذه الصيغ في التعابير التالية :

---

(33) الطلاق الآية 12 .

(34) محمد الخضر حسين "أسرار التنزيل" ص 256.

(الأقرب إلى الذهن : ص 115) ، (ويصح فيما نرى ص 126)، (و يصح فهم ص 125) ، (ويصح أن يفهم ص 221)، (ويصح أن يفسر ص 146)، (صح تفسير ص 146)، (و يصح أن يراعى ص 30)،(فيـــــــؤول معنى... إلى معنى : ص 85)،(ومن أقرب ما تفسر به الجملة : ص 97)، (ويصح تفسير 142) و(يصح أن يراد ص 88-242...) ،(و يحتمل أن يراد ص 105) ، (هنا صح تفسير ص 106) (و التقدير ص 101، 111، 118، 119، 215) (و يصح أن يكون المراد ص 127)، (ويصح أن تحمـــــل على معنى ص 221) ،(و يصح أن يكون المعنى ص 317) ،(هذا ما يصح أن تفسر به ص 357) (فمن تعسف و أتى ...تألفه العقول الراجحة : ص 159) و من المحتمل القريب أن يفهم ص 304)

(وإذا نظرنا إلى ما جاء في آية أخرى ص 85) (و من أقرب ما تفسر به الجملة ص 97)...

و لم يقتصر على استعمال الصيغ الدالة على إعمال الرأي في تفسيره من خلال "أسرار التنزيل " بل كانت هذه الصيغ مميزة لكل مقالاته في التفسير . و المتأمل لمقالاته في كتاب "**تفسير الهداية الإسلامية**" يلاحظ العديد من الصيغ ومن أمثلة ذلك: (والأقرب أن يقال ص 106)، (ويصح أن يكون المعنى ص 109)، (ويفهم من الآية بعد هذا ص 114) .

و في كتاب " **محمد رسول الله و خاتم النبيين** " :

(بيان هذا ص 43) ، (فهذه الآية صريحة ص 45) ، (فهذه الآية تفهم على معنى ص 158) ، (فالمقصود في الآية ص 160) ، (فرأيت في الآية مرعى خصبا و مجالا فسيحا ص 160) **الخاتـــمة:**

بعد هذه المداخلة المتواضعة لاستجلاء منهج الشيخ محمد الخضر حسين في تفسير القرآن الكريم يمكن الإقرارُ بأنّ كتاب "أسرار التنزيل" وما ورد في بقية آثاره يعدُّ محاولة جادة في إرساء مدرسة جديدة في التفسير حاول صاحبُها ملامسةَ الجوانب الاجتماعية والحِكَم التشريعية والوقوف على أهم القضايا المعاصرة التي كانت تشغل الأمة وهي تعيش التخلف و التجزئة والاستعمار الغربي وتتوق إلى النهضة والوحدة لتسترد وعيها لبناء المشروع الحضاري العالمي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و لعل أهم النتائج التي يمكن التوصلُ إليها هو أن للنشأة والبيئة التي عاش فيها الخضر حسين دوراً كبيرا في تكوين شخصيته فمنذ طفولته توجَّه إلى حفظ القرآن الكريم و تلقّى علومَ الشـــــرع و الالتزام بآدابه . و كانت رغبتُه شديدة في طلب العلم حيث استفاد من المناخ الثقافي . فأقبل على دروس التعليم ولازم عددا من الشيوخ المعروفين مثل خاله "محمد المكي بن عزوز" و الشيخ "سالم بوحاجب" و "عمر بن الشيخ" وغيرهم.

و قد حرص رغم كثرة الترحال والتنقل على دوام الكتابة وإلقاء الدروس و المحاضرات في المساجـــــــد و الجمعيات وإنشاء المجلات والإقبال على مطالعة أمهات الكتب في التفسير وعلوم اللـــــــغة و الأدب و الحديث.فكان تفسيرُ "أسرار التنزيل" من التفاسير السهلة التي اعتنى فيها صاحبُها بالصور البيانية و المحسِّنات المعنوية رغم شغفه بالأسلوب. و ابتعد فيه عن ذكر مصطلحات الفنون والتوسع فيما لا تفهمه العامَّةُ وهو في ذلك يتفق مع "تفسير المنار" لرشيد رضا رغم عدم التأثر المباشر بمدرسة المنار .

وما يتميز به الخضر حسين - روَّحَ الله روحَه- من استقلال في التفسير عن بقية المفسرين على الرغم من اعتماده على العديد من التفاسير وما توصل إليه أصحابها قد أظهره شديد الالتزام بتفسير القرآن بالقرآن دون إهمال للحديث النبوي الشريف و الاعتماد على الشعر العربي. هذه الميزة وغيرها جعلته تفسيرا عصريا يعكس بصدق و وضوح توجهاتِ العصر و حاجة المجتمع الإسلامي والمكتبة الإسلامية إلى هذه النوعية من التفاسير و من ثَمَّة بدتْ علاقتُه بمعطيات عصره الثقافية و الاجتماعية و السياسية وثيقةً جدًّا.

لذلك يمكن اعتبار" أسرار التنزيل " في منهجه المعتدل تفسيرا مثاليا بكل معاني الكلمة وذلك في ظل الضوابط و الشروط التي وضعها العلماءُ و المفسرون لبناء تفسير سليم . ويُعتبر صاحبُه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من المجتهدين القلائل المعدودين في العصر الحديث ممن دَعَوْا إلى نبذ التقليد و الجمود.

والمـُطـّلعُ على بعض مواطن من التفسير يلحظ دون عناء أن الخضر حسين قد جمع في طريقة تفسيره بين اتجاهات ثلاث و لم يكن أسير مذهب أو مدرسة . فنجد الاتجاه اللغوي إذ ركّز على الأساس اللغوي فتوسع لقبول كل المعاني التي يتحملها اللفظ ويشترط على المفسر "أن يكـــون عارفا لعلوم اللغة العربية وفنون بلاغتها "[35] . والملاحَظ أن قيمة هذا المنهج برزتْ تاريخيا في الردّ على التيارات الباطنية التي أدَّى بها تأويلـُها إلى العبث باللغة العربية فاندفع الخضر حسين لغويا بارعا إلى دحض هذه النزعات الرامية إلى إهدار الدلالة اللغوية التي تقوم عليها معاني القرآن الكريم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وركّز على المأثور فأخذ من القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يساعد على استخراج المعاني ويقرِّب الدلالة إلى الأفهام دون إهمال لما تركه الصحابة والتابعون ولا تغافل عن أسباب النزول . واشترط على المفسر أن يتَّجه إلى تمحيص الروايات و لا يعوِّل إلا على ما صحت روايته"[36]. وقيمة هذا المنهج تبدو أساسا في الرد على مختلف من زيَّنتْ له نفسه

(35) .محمد الخضر حسين "بلاغة القرآن" ص 24.
(36) محمد الخضر حسين "بلاغة القرآن" ص 24.

إمكانية النظر إلى القرآن الكريم نظرة مجردة عن كل ما ظهر حوله من نصوص حتى ولو كانت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد عمل الخضر حسين على إحياء هذا النسق مؤمنا بأن المأثور هو الأداة الأنجعُ و الأسلمُ في العملية التفسيرية. وبين اللغة و المأثور يظهر الرأي نبراسا يعتمده الخضر حسين ليستخرج ما توحي به اللغة و ما يكشفه المأثور إذ لا يمر بآية إلا استحضر رأيه. و يلحظ القارئ ذلك من خلال الألفاظ و المصطلحات المستعملة من جهة وما يصل إليه من فهم لدلالات الآيات من جهة أخرى . و قيمة هذا المنهج تبدو في سعي صاحبه إلى أن يجعل أحكام القـــــــرآن و معانيه مستجيبة لمتطلبات العصر و تطوره مؤمنا بأن القرآن الكريم هو أهم دستور يضمن للأمة السلامـــــة و يخرج بها من بوتقة التخلف لمعالجة أهم المعضلات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تبين لي أن الخضر حسين علم من أعلام التفسير الإسلامي ساهم بشكل كبير في إثراء المكتبة العربية الإسلامية بكتاباته في التأليف و المقالات في المجلات والصحف و إلقاء المحاضرات، كما كان له الدور الريادي في كشف معاني القرآن الكريم من خلال تفسيره و دعوته إلى التمسك بأحكـــامه وتشريعاته وجعلها مسايرة لمتطلبات العصر وضرورات التقدم. كل

ذلك كان باعتدال يعكس قوة شـــخصيـــته و هدوء طبعه وغزارة علمه و سعة إطلاعه.

ولا يسعنا في خاتمة هذا العمل إلا أن نقترح على المهتمين بالحقل المعرفي جمع ما كتبه الشيخ محمد الخضر حسين في التفسير ونشره مستقلاّ عن تآليفه الأخرى و تحقيقه.وعلى المشرفين على وضع البرامج إدراج دراسة تفسيره في برامج المعاهد و الجامعات الإسلامية في فصل من الفصول تحت عنوان مادة "التفسير في العصر الحديث". كما أدعو المختصين من أهل الفكر والثقافة و المهتمين بتفسير القرآن إلى مواصلة بناء مشروعه التفسيري الذي رسم معالمه و بيّن أسسه.على نحو ما قام به محمد رشيد رضا مع محمد عبده في مصر. و في تونس المراهنة على إحياء التراث رجال صدقوا ما عاهدوا عليه أنفسهم من بر للمعارف و العلوم و خاصة ما تعلق بتفسير القرآن الكريم نأمل أن يوجهوا هممهم لهذا المبحث سبيلا لمساوقة التغيرات التي يشـــهدها العصر و التحديات التي يفرضها فتفرض علينا أن نتوجّه إلى ما به يكون تأصيل الهوية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادر

- **القرآن الكريم** : برواية قالون لقراءة نافع من طريق أبي نشيط- الطبعة الأولى- صادر عن دار الفجر الإسلامي دمشق 1426 هـ /2005م .

حسين محمد الخضر

- أسرار التنزيل ـــالمطبعة التعاونية دمشق ـــ 1976م.

- بلاغة القرآن- طبعة المطبعة التعاونية — دمشق - 1971 م/ طبعة الدار الحسينية للكتاب1997 م.
- خواطر الحياة - المطبعة التعاونية دمشق 1978م.
- رسائل الإصلاح - المطبعة التعاونية دمشق 1971م.
- محمد رسول الله خاتم النبيين — المطبعة التعاونية دمشق 1971م.
- الهداية الإسلامية — المطبعة التعاونية — دمشق 1976م.

المراجع

ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر

وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان — تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت لبنان .

التونسي علي الرضا:

- الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر. الدار الحسينية للكتاب طبعة 1 - 1992م

الزركلي خير الدين :

— الأعلام— دار العلم للملايين، بيروت، طبعة 2 - 1982م

ابن عاشور محمد الفاضل:

- تراجم الأعلام - الدار التونسية للنشر تونس 1970 م.

العك خالد عبد الرحمان :

— أصول التفسير و قواعده — ط 2- دار النفائس بيروت 1986م.

محمد كرو أبو القاسم:

— أعلامنا- دار المغرب العربي تونس 1973م.

مواعدة محمد:

—محمد الخضر حسين حياته وآثاره — الدار التونسية للنشر 1974م.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفكر العربي المعاصر وقضية التراث

الجزء الرابع

الحداثة العربية وشروط تحققها

بقلم: محمد الرزقي

التمهيد: تناول الجزء الأول من هذه الدراسة الأسباب التاريخية التي حولت قضية التراث إلى إشكالية مركزية في الفكر العربي المعاصر وتباين الآراء المسجلة من هذه القضية خاصة ومن مسالة الماضي بوجه عام.

ليبين الجزء الثاني من الدراسة طبيعة العلاقة التي تربط الماضي بالحاضر ودور الماضي في تحقيق التجانس الزمني للإنسان المعاصر باعتبار أن فهم الماضي يقود إلى معرفة علل الحاضر والذي يتسم بالركود رغم أن قسما كبيرا من العالم يشهد حركية متنامية على مختلف الأصعدة والجبهات مما افرز حالة جديدة لم يعرفها الوعي العربي ولن يساهم في خلقها وهي واقعة الحداثة. ليهتم الجزء الثالث من هذه الدراسة بتتبع المحطات التاريخية الكبرى التي ساهمت في بلورة مفهوم الحداثة في أوروبا والذي غير وجه العالم الغربي وهو ما يجعل جملة من الأسئلة الجادة تفرض نفسها على مسار البحث ومن بينها لماذا لم تشهد البلاد العربية حداثة كالتي شهدتها أوروبيا ولماذا لا نتبنى الحداثة الغربية التي أثبتت نجاعتها.

1/ خصوصيات الحضارة العربية الإسلامية:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أن الحل القائل بتبني الحداثة الغربية هو في حقيقة الأمر حل يعتمد سياقا تاريخيا واجتماعيا وفكريا غير موصول بالمجتمعات العربية والإسلامية فالمرجعية الأوروبية نمت وتطورت بعد ثورات ثقافية وسياسية وانتفاضات عمالية وتطورات اقتصادية واجتماعية مهد لها بروز عدة تيارات فكرية وفلسفية في حين أن المجتمع العربي يشهد ركودا على مختلف المستويات كما أن طبيعة التناقظات التي عاشتها هذه المجتمعات لم تشهد مثلها البلاد العربية فالحداثة في أوروبا انطلقت بعد حسمها الصراع مع الكنيسة وماضيها المفزع وإحداث قطيعة دائمة مع هذه المؤسسة التي أسرت العقل وحدّت من فاعليته في حين أن الحضارة العربية الإسلامية تتميز بخصوصية هامة وهي أن هذه الحضارة قامت على قاعدة التفاعل بين العقل والنقل فالإسلام لا يبخس من قيمة العقل بل يرفع من شانه ويعتبره دعامة الاستخلاف وأساس التكريم الإلهي للإنسان.

فالعقل في الإسلام ليس سجين التنسك والتسليم بل باب التفكير مفتوح أمامه على مصراعيه حتى عدّ التفكر عبادة، وهذا لا يعني أن العقل العربي كان فاعلا على مدار التاريخ الإسلامي وإنما المقصود أن مبادئ الإسلام لا تتعارض مع فاعلية العقل بل شرّفته وكرمته(1) بقطع النظر عن الممارسات التي سجلتها أسفار التاريخ.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما أن الحضارة العربية الإسلامية لم تعرف مؤسسات دينية تحتكر الحقيقة وتصادر آراء بقية العلماء لو استثنينا بعض الفترات التاريخية التي استبد فيها فقهاء البلاط بالقول الفصل، نتيجة عوامل سياسية بالأساس.

ولعل العائق الذي يمنع تحققنا بمعاني الحداثة يتمثل في عدم استيعابنا لجوهرها لان الحداثة في جوهرها هي الاستعدادات الداخلية في الفرد والمجتمع والتي تفضي إلى علاقات جديدة مع ما يستلزم ذلك من معرفة الإبداع والاستعداد الدائبين له، كما أن البلاد العربية تفتقر إلى وعي نقدي يراجع الأفكار والمسلّمات ويغير النظرة إلى العالم والإنسان .

فالعالم العربي يحتاج اليوم إلى تغيير،إلا أن هذا التغيير يجب أن يكون نابعا منه ، وملائما لظروفه العامة لا أن يكون تغيرا نخبويا أو إسقاطيا الغاية منه توفير جملة من المكاسب التي تتعلق بتطوير الحياة المادية دون أن يمس هذا التغيير العقلية التي تنتفع بمغانم التحديث(2) وباختصار فالعلة في ذهن كل واحد منا على حد قول عبد الله العروي(3)

فما هو سبيل بناء حداثة عربية أصيلة لاشرقية و لا غربية؟.

2 شروط بناء حداثة عربية أصيلة

إن البحث في شروط قيام حداثة عربية أصيلة أمر مضني وشاق ويقودنا إلى مسارات متفرقة و طرق متشعبة قد تؤدي بنا إلى السقوط في الوثوقية أو الإسقاطية لأن القول ينطلق من واقع الحال وهذا الحال هو عرضة للتغيير في كل وقت وآن.

لكن تظل جملة من الشروط الجلية النظرية منها والإجرائية واضحة للعيان، ولعل من أهمها ما سبق ذكره في الجزء الثاني من هذه الدراسة والمتمثل في شرط المعاصرة والمقصود بالمعاصرة في هذا المقام "ليست معاصرة زمنية أو تزامنية"(4) بل الاهتمام بمشاغل العصر إلى حد النخاع والرغبة في تطوير الواقع الراهن بخلق واقع مغاير يكون أعلى قيمة فهذه الغاية تدفع الذات إلى أن تراجع مكتسباتها من خلال البحث في كل التراكمات النفسية والاجتماعية والثقافية وانتقاء ما هو حي منها ويتماشى وروح العصر الذي هو عصر متوثب لا يعرف الثبات أو الديمومة لكن تسارع خطوات العصر المجنونة لا تعني الانسياق وراء هذه الدوامة لكي لا تنقلب الموازنة فعوضا أن نقود العصر ونسخره لإرادتنا يصبح هو القائد ونصبح نحن الخدم فنتخلص من رقّ التخلف لنلج باب الاستلاب، فالمعاصرة هي التي تمكن من الوعي بالذات وبالتالي يوكل إلى هذا الوعي مهمة نحت معالم الشخصية العربية فضلا عن صياغة معنى للهوية والقادرة على حفظ الوجود العربي ككيان ثقافي، وسط عواصف المتغيرات والوصول إلى هذه النقطة، يحتم علينا طرح شرط آخر خطير والمتمثل في تحرير الإنسان العربي من كل القيود التي تكبله، وهو شرط حاسم، ونتائجه فورية ومن بين العوائق التي تحد من فاعلية العقل العربي، نجد مسالة الجهل والتقليد والتوظيف والتي "حولت الفكر العربي الإسلامي إلى مجرد خادم ذليل لسلطان القوة والجهل، فبات لا حول له ولا قوة على الإبداع."(5) وأولى خطوات هذا الإصلاح،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتمثل في غرس هذا الفكر في تربته، من خلال تدريبه على إتقان اللغة العربية والتي هي اللغة الأم، حتى تكون أداة تفكيره، فمن يتعلم العربية، ويفكر بأدوات اللغة العربية سيهتم حتما بكل قضايا العرب، فحصر العربية اليوم بين جدران الفصول الدراسية أو بعض الأعمال التعبدية يمثل خطرا داهما على مستقبل هذه اللغة خاصة أمام زحف اللهجات المحلية.

كما أن هذه الخطوة يجب أن يصحبها إعادة تأسيس الواقع السياسي العربي سواء على المستوى التشريعي أو الإجرائي، وعدم الاكتفاء ببعض الإصلاحات الشكلية، إلا أن هذا الأمر يتطلب نضجا ووعيا من الحاكم والمحكوم على حد سواء وتهيئة الظروف الملائمة لمثل هذا التحول، فكيف نطلب من البلاد العربية التي تصل نسبة الأمية في بعض أقطارها إلى الستين بالمائة، أن يكون المواطن فيها شريكا فاعلا في النشاط السياسي وهو عاجز حتى عن معرفة الحروف الهجائية، فمهنة "كاتب للعموم" مازالت مهنة رائدة في جميع الدول العربية دون استثناء.

ولا يمكننا أن نغفل الشرط الاقتصادي والذي يمثل عنصر القوة والمناعة، إلا أن هذا الشرط يتطلب شروطا أخرى فرعية بعضها ذاتي والبعض الأخر خارجي، وهو ما يدفعنا إلى الاعتراف أن شروط الحداثة لا يمكن ضبط تفريعاتها كما أن التنظير في هذا الباب هين يسير، أما إحياء هذه الشروط وجعلها واقعا ملموسا فهو المستعصي العسير.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليطرح سؤالا ملحا حول مسؤولية الجهة المخولة بتحويل بعض أصول هذه الحداثة المرتقبة إلى واقع تاريخي مشهود؟.

الحقيقة أن مسؤولية تحقيق هذه الشروط التي مازالت في حيز الفكرة تظل مسؤولية مشتركة بين الثالوث الذي يشكل عماد المجتمع وأساس انتظامه، وهم الدولة والأسرة والفرد وبالتالي فتوزيع هذه المسؤوليات لا يخرج عن الإطار التقليدي، الذي عهدناه، لكن أمام تسارع إيقاع الزمن قد تختفي احد أعمدة هذا المثلث بتحول الإنسان إلى مجرد رقم في سجلات دواوين الدولة وتصبح الدولة هي كل المجتمع، وقد يحدث العكس، فتختفي الدولة وتسود إرادة الفرد وكل الاحتمالات تظل مفتوحة باعتبارنا نتحرك داخل مفهوم الحداثة والتي هي كالرمال المتحركة، وهذا التحول والتبدل الذي يصاحب مفهوم الحداثة يجعلنا نواجه اعتراضا منطقيا يتمثل في التساؤل حول الجدوى من إعداد شروط مسبقة للحداثة خاصة أن هذه الشروط ليست إفرازا واقعيا، كما أن ضبط أسس ثابتة لحداثة عربية ليس إلا ضربا من ضروب التصور والتنظير، الذي يتنافى وروح الحداثة القائمة على التحول والحراك، وهل أن التنظير هو الذي سيشيّد هذه الحداثة أم يحق فينا ذاك التوصيف الذي يرى في العرب مجرد حضارة قولية لا تحسن إلا الكلام؟.

وفي الختام يتضح لنا جليا أن الماضي يظل يطلّ برأسه في المستقبل باعتبار أن الحاضر ليس إلا فاصلا وهميا في خط الزمان، فماضينا جزء من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مستقبلنا وهو الذي يحركنا ليبقى بذلك أمل بناء مستقبل واعد يسيطر على أذهان كل المهتمين بالشأن العربي والحالمين ببناء حداثة عربية.

إلا أن تسارع نسق الزمن يحمل لكل هؤلاء مفاجئة غير سارة تتمثل في ظهور واقعة "ما بعد الحداثة" وهو ما يجعل الهوة تزداد اتساعا والعزيمة تنتكس وتضعف.

لكن علينا أن نفهم جوهر الحداثة بأنها مراجعة دائمة لكل ثابت وبحث عن الجدة والطرافة، فمرحلة ما بعد الحداثة لا تقع خارج أسوار الحداثة أو تأتي "بعدها"، إنما هي اقرب ما تكون لمراجعة الحداثة نفسها ونقدها بعض أسسها وهو ما يجعل السفينة العربية تحول دفتها نحو ساحل آخر، فلا تربط طموحاتها بتحقيق الحداثة بمواصفاتها الغربية على المستوى النظري أو المادي وإنما عليها أن تفهم روح الحداثة وتسعى حتى تؤسس واقع عربي آخر يكون مغايرا للواقع الراهن وارفع شانا استنادا إلى مرجعيات الواقع نفسه، دون الالتفاتة إلى المجتمعات الأخرى، لان لكل ثقافة شكلا معينا في انجاز حضارتها.

الهوامش:

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين 99/1 دار الفكر 1994
(2) محمد أركون، الإسلام والحداثة ص11
(3) عبد الله العروي، الايديولوجيا العربية المعاصرة ط3 بيروت 1978
(4) محمد أركون، الإسلام والحداثة ص 595
(5) أبو يعرب المرزوقي، آفاق النهضة العربية ص6 دار الطليعة بيروت ط1/1999

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراءة للمجموعة الشعرية "رحيل النوارس" لمولدي شعباني

بقلم: محمد عبد السلام مرزوقي

اللغة سحر والسحر خرق لمألوف الكلام، انتقال مفاجئ للعبارة وانفتاح لشرنقة الإبداع ذات الحمل الثقيل مادام الحسّ مولودا والمشاعر تتجدد والبحث في غياهب الوجود مغامرة المبدعين في كلّ زمن وهذا الزمن –تحديدا سنة 2003– نحتفل بالكتاب آية لإحياء الكلام وصورة لانتظام النّظم عبر احتفالية من طيور النوارس في رحيل صامت لا يدرك له وجهة ولا حدود إلا حفيف وقع الكلمات على صفحات خلت من قبل، كساء من الحبر وأبجدية الشعر التي نمت نمو العظم في الجسد في مجموعة أحذق المولدي شعباني رسم تركيبها الإضافي "رحيل النوارس" وقدّم لها الدكتور الجريء محمد الصالح بن عمر بانطلاقة صحيحة وآمال واعدة، شاهد من أهله يوقع امضاءة التألق والمضيّ في الطريق الصّواب تذكّي قيمة مضمون الكتاب وتفتح لصاحبه شهية الاغتراف من ينابيع شجرة الإبداع، أمر واضح لا شكّ فيه.

المكان: سيدي علوان والحدث: ملتقى للأدباء الشبان، جويلية 2000 تزحزح من مكانه ليقف صامتا أمام جمع من الأدباء الناشئين، قرأ العبارة فانجلى الرّكب واعتدت قافلة النّظم طريقا لها فبدت لي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقاطع وهي تترى حديثا صامتا كأنما قوافل المتقدّمين تشقّ الصحراء ذات هجير لا تبصر فيه غير الغيوم ولا تسمع إلا دبيب بعض الجرذان المتعثّرة بين نبات الشوك والسدر، حسبت الوقت قد توقف ليشهد له جهدا متميّزا وجرأة قدّرتها كلمات قصيدته فصفّق السامعون وأثنى مقدّم الدورة بالشكر طويلا.

كان أوّل لقاء يجمعني به في مهرجان الكلمة والإبداع دونما علم سابق بمشاركته فلم تفتني فرصة الحديث، نتجادل لغة الشّعر وانتشار دوراته في شمال البلاد وجنوبها مزيدا لإعطاء الثقافة دورها المتميّز دون شكّ.

ومن سنتين خلت وعدني الشاعر المولدي شعباني بباكورة أدبية شعرية يلج بها باب الإبداع ويطفئ بها طموحا متجدّدا له كلّما استفاقت قريحته للكتابة إلا وراودته صورة الكتاب حاضرة تستفزّه لجمع شتات أفكاره ولملمت ذاكرته الغزيرة استعدادا للمخاض حتى تحقق الوعد وطفقت مجموعته الأولى حافلة زاخرة بأنواع البديع والمعاني وتعدّد المتون استجابة لنفس أرادت أن تكسّر حاجز الحيرة والتردّد فجاء المولود فاتحة لضوء أخضر، مجال فسيح للمضيّ دون توقف ربّما كان واضحا من شهادة دكتور محمد الصالح بن عمر أن "طريق الإبداع ينطلق وجوبا من الذات لا من محاكاة النجوم الساطعة...ص(10)، ومن بوح الشاعر بأنينه منذ نداء أول قصيدة "إلى قلبي" يتراءى الطريق حرفا، فعبارة، فتركيبا جميلا فيه رغبة التذوّق ولذة الخلق من خلال إيقاعات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتعدد من هنا وهنالك، تصّاعد فتحلّق وتترل صريعة يتيمة لا ملاذ لها غير المواجهة بلا تردّد، يبدو ذلك من خلال تعاقب اللّغة وصمتها في زمن يقوى تارة ويضعف طورا.

يا قلب عفوك لو كتمت أنيني

وذبحت فيه تشوّقي وحنيني ص(11)

ثم يتحوّل الفعل وتشتدّ معه الموسيقي تعاليا ورغبة في كسر هذا الهدوء إلى انقلاب كلّي في نفس الشاعر ليعي سببا لنداء قلبه المكلوم فانفتحت أصوات القصيدة مسنودة بحركات صاخبة من الهواء الرئوي المفعم بالتحدّي حينا والرّغبة في إظهار حقيقة ما يلّف الشاعر من سجن مفعم بالكلمة والانكسار.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنكرت عشقي دونما سبب يرى

وتركتني لمواجعي وشجوني ص(13)

إنّها لغة الجسم المنكسر رغم نفسه يودّه الشاعر أن يكون كذلك كشفا للحقيقة التي ينشدها كلّ متخيّل يمرّ بكل أشكال الحبّ والحزن والجنون، يبحث عن نفسه فيتوسّل القوى الأخرى الخارقة Surhumaine أين يكون بينها أكبر المرضى والمجانين ثم يحذفها في النهاية من قاموس لغته لأنه يصل إلى اللاهابة لا محالة، وذاك حال من نشد الشعر وأنشده إلى غيره.

سيّان أن طالت دروبي أو دنت

تفنى الحياة وقبلها تفنيني ص(15)

ويبدو استدعاء القوى الأخرى حاضرا ومكثفا في جل قصائد الشاعر خاصة تلك التي ينسحب فيها الحبّ مدرارا والقلب سجينا للذكرى أضياف من النار تحترق خيال الشاعر لا يستطيع التخلّي عنها:

نار الذكرى تحرقني

فأشعلها وأطفيها ص(27)

وهي نار سبق التذكير بها في قصيدته "مخاض الوعود"

ذي ذكرياتي وأشعاري ترافقها

نذرتها هبتي يا نار فانقدي ص(25)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعيدا عن هذه المعاني والأشكال مثلت النصوص الأولى للكتاب تحولا أساسيا كانت الذات منطلقا له بانكسارها وانعطافها، حتى تجاوزت نهاية القصائد المطلب الجمالي للشعر l'esthétique إلى مبحث عن الحقيقة l'heuristique بعبارة آلان فايّ Alain Vaillant وهي حقيقة تعضد المتخيّل الشعري وتشدّه كلّما التجأ إلى القوى المتخيلة لعقولنا تنطلق من منبعين أساسيين مختلفين على حدّ تعبير غاستون بشلار.

- تنطلق الأولى من المفاهيم الجديدة كالتنوع والأحداث غير متوقعة...وغيرها

- أمّا الأخرى فهي تحفر أعماق الأرض تبحث عن الذات وعن الخلود والبداية في نفس الوقت.

ونصوص المولدي شعباني كانت ممزوجة بهذا البحث عن ذاته الموزعة بين كؤوس الذكرى وأسرار الليالي ولحظة الذوبان ومصدر هذا المتخيّل يتدفّق من أعماق الأرض برمّتها ومعاني هذا الأخير مبثوثة هنا وهناك (بركان–نجم–أمطار...):

فهذا الكون من ورقي

وذاك البحر لي حبر

وذي الأمطار من غضبي

وذا البركان لي خبرا ص(33)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنها ذات حاضرة في الماضي والحاضر والمستقبل تستمدّ قوّتها من ذكرى وأطياف كانت وعودا أثبت الحاضر زيفها رغم اليقين الذي جلاه القلب حبّا وامتنانا.

أحبّك رغم امتناع اللّقاء

ورغم العذاب ورغم الشقاء ص(18)

لكن انعكاس الفعل المقابل وارتداده عتّم صورة الحدث امتناعا وغدرا ونكرانا:

كانت تواعدني لكنّها غدرت

ها قد وفت بوعود حين لم تعد ص(24)

فتحول الحدث وتغيّرت حركة الشّعر متصاعدة تجمع بين العتاب حينا ومحاولة لانتصار الذات حاضرا رغم الجفاء فتبوح بأسرارها في تودّد لا يدرك صوره إلا من جرّب ناره واكتوى بلضاها:

دعيني أنطق جهرًا

وأكشف بعض أسراري

ونار الشوق تشتعل

فأفنى في لظى ناري ص (32)

هكذا صورة الحب قديمة مستحدثة يحرّكها الشاعر بقلم لا يهجع وجوانح لم تنم تزيدها اللّغة سحرا على سحر وعذوبة تجمع بين خفة الكلم الصادق وروح التعابير التي تتحرّك بعفوية الشاعر القديم الذي استفاق معه الشعر والموسيقي والجمال. ونحن نتلمس القصائد من وحدة لأخرى نكتشف تكرار لفظة الحبّ من مواقع عدّة بدء من «إلى قلبي" "أحبك"، "مخاض الوعود"... كان ذلك كلّه مقصدا جريئا من الشاعر كشفا لصدق أحاسيسه ومحاولة تقريب المعنى من القارئ المتلهف لبساطة اللفظ تجنبا للغرابة واستهجان المعاني.

جرس الألفاظ قبل كلّ شيء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان واضحا منذ البداية أن الشاعر الشاب المولدي شعباني يدرك جيّدا أن للإيقاع موقعه في الشعر وأن هذا الأخير قد استفاق معه وكأن الشعر غناء وعندما نغنّي فنحن نتنفس على حدّ تعبير "فيكتور إيقو" وهذا المفهوم ظهر جليا في تنوّع البحور (المتقارب، الوافر...) وقيمتها الموسيقية الظاهرة واختلاف القوافي الساكنة والمتحرّكة بكسر أماطت الستار عن أنين ذات تعيش في واقع مأزوم.

فهل يصبح الشعر تبعا كذلك هو الموسيقي ذاتها؟

يجيب عن هذا السؤال شعراء عدّة وباحثون اهتموا بالحس الشعري طويلا مثل أوستاش ديشان Eustache des champs وهو أحد كتاب الفن الشعري الفرنسي الذي أكدّ في مواضع عدّة بأن الشعر هو موسيقي Poésie est musique لكنه ليس من الواضح أن نطبّق هذا المفهوم على الشعر كلّه خاصّة إذا علمنا أن هنالك نوعان من الموسيقي:

1- أوّله اصطناعي ينتظم ضمن الستة "نوتات" المعهودة لدى الموسيقيين إذ نستطيع تعليمه لأي شخص كان.

2- أما الثاني فهو الموسيقى الطبيعة التي لا تعلّم إلى أحد ويعبّرون عنها بموسيقى الفم فهي ملك لصاحبها فقط.

وبناء على ذلك يكمن الشعر الصحيح في الموسيقى الطبيعية لأنها حدث من الداخل يعالج حركة إيقاع الذات وتحوّلاتها (الغضب—

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفرح...) فهل نجح الشاعر «النورس» المولدي شعباني من خلال قصائده في إحداث الفارق بين النوعين السابقين؟

الأفعال الموسيقية: إن الموسيقى تتطلّب القافية قبل كل شيء ثم تناوب اللغة في صمتها وتصاعدها وسرعة الزمن وتباطئه والشاعر الشعباني لم يغفل أبدا موسيقي القصيدة –التي تختصّ به وحده– حيث تكمن علامة الحياة انطـــلاقا من نفس الرئة، من ذبذبات القلب واستجابة اللغة لذلك لتصبح للموسيقى الشعرية مهمة إعادة للإنسان وعيه ولذّة صوته وتلك التموّجات الهوائية الصّاخبة التي تنطلق من الرئة إلى أعضاء النطق، هكذا يعيش الشعـــر داخل هذا الجسد يتلذذ، يصيح، يحزن... ثم يخرج لغة موسيقية متميّزة عن النثر جمالا ورقة:

أحبك رغم امتناع اللّقاء

ورغم العذاب ورغم الشقاء ص(18)

إن البيت هندسة صوتية تحبكها أبجدية اللّغة في إيقاع يتكرّر عبر تراكيب إضافية (امتناع اللّقاء – رغم العذاب...) تحدث وقعا إيقاعيا لدى السامع وهي ليست إيقاعات مادية من خشب أو بلّور أو أوتار عود ولكنها أنغام روحية يستلذ بها قارئها وسامعها وتشدّ هندسة البيت المتقدّم فعل يستجيب لحالة الشاعر ويزيد تصاعدا وشدّة تحتدّ كلّما يعاد ذكره: "أحبك"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتحضر هذه الهندسة الصوتية كذلك في مجموعة من القصائد ذات البناء الحرّ دون استثناء خاصة عندما ندرك أن من خصائص الشعر الحرّ هو الموسيقى بالدرجة الأولى والصورة التي تتجمع فيها ألوان البديع والمعاني:

رأتك الشمس فاحتجبت

وغابت وهي تحتشم

فمنك النور تقتبس ص(80)

إن الشاعر الشاب المولدي شعباني ذاكرة حقيقية تلد رغم رفض العالم المادي لها، لكنّها حلم يصارع الفناء والعدم ويتحدّى كونية الاقتصاد المفروض على جغرافية الأرض وتقزيمها ضمن رقعة واحدة، وعزم الشاعر على إعادة المعاني السابقة باختلاف الصياغة والبناء يقينا بالقول السائد "مادام الموت موجود والحياة موجودة فإن الشعر موجود" هو بالنهاية كلمة طيبة ثابتة في النفس وعمق الفؤاد امتداد إلى الترقوة التي تشهد قيمتها وانتمائها الشعري إلى الذات.

صمت اللغة... رحيل ثم عودة

إن الصمت لدى الشعراء شعر والشعر رحيل في الذاكرة عودة إلى الأصل ورحلة في الزمن، صدمة فشعور فولادة للكلم.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورحيل النوارس يتنزّل ضمن رحاب الصمت لأنه كؤوس مفعمة بالحب والحزن الداخلي تتوالد كل لحظة لأن الشعر عاطفة قبل كل شيء موطنه جسم لا يدركه إلا صاحبه:

فغير الصمت ما عندي

وكأس الحزن تدعوني ص(27)

وأطياف وقدَرٌ يتوارى خلف الحلم الذي لا ينسى:

كنتِ حلما

كنتِ وهما

وخيالا آدميا ص(37)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هكذا ترسم الصّور في لوحات يغيب الجسد منها وتحتلّها أبجدية مطبوعة بتموجات الذات وأنين طالما أنّه المتقدّمون في رحلاتهم خلف الحبيب حتّى خيّل إلينا ونحن نلج قصيدة "رحيل النوارس" بافتتاحية:

رحل النوارس بعدما يئسوا فلا

بحري يغازلهم ولا شطآنه ص (44)

وكأننا مع امرئ القيس في "قفا نبك" استعادة وإحياء لمعنى لحقه الجفاف سنين عدة هو قيمة الحب شوقا واحتراقا وبعدا وجراحات، رجوعا كان الشاعر مجبرا عليه، أمرا لا مندوحة منه وكان ذلك واضحا

في ديباجة كتابه بالقولة المشهورة "سحقا لمن سبقونا لقد قالوا أقوالنا"ص(4)

وهذا الموج الشعري المتعدد والذي استحوذ نصف الكتاب هو صحوة جديدة يبدأها المولدي شعباني حرا طليقا جياده القلم بلجام حفيف الواقع وحوافز تنطق بهذه اللغة الصامتة ومصدر قلب وسعته الصحراء وهجيرها:

قد صار قلبي إله الحبّ منفردا

وهو الكفيل هنا بالحكم والنظر ص(98)

ورحيل الشاعر مع الماضي هو اختيار أراده تاريخا وعبرة تجاوزا واقتداءً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما آن للجرح أن يندمل؟

وللجفن بعد السهاد أن يكتحل! ص(71)

فكانت الذكرى حدث ووقائع للتاريخ هو منّا وإن تجمّعت الخطوب به لأن الجذور أصل والأصل ثابت كشجرة الخلود لا تتزحزح والواقع قد أثبت ذلك وأن التاريخ لا يمكن محوه من الذاكرة خاصّة من مخيّلة الشعراء لكن تصوير الحدث بلغة يمكن أن نسميّها "صامتة" لغاية مقصودة من الشاعر لأنها لا تستطيع أن تصرّح بحقيقة الأمر جملة وتفصيلا فما هو مرسوم على الورق إلاّ إشارة وتلميح لزمن وشخوص وحدث فضمت اللّغة إذن يتجاوز عدم الفهم والغموض إلى لغة أخرى

اسمها الصمت تكفيها الإشارة فقط حتى ينطلق المعنى وتكتشف الأحداث والشخوص:

وهذا "علي" مازال يحث رجاله

يكوّن جيشا من الارتزاق

لدفع المنايا ! ص(68)

والشاعر بعد كل ذلك لم يرمي بحباله للماضي لتأثيث العبارة الشعرية فقط وإنما أرادها صحوة للضمير وسدّ الثغرات التي لحقت تاريخنا لأن الوقت قد حان لذلك

ألام نعمق شرخ الخلاف !؟

ونبقى فرادى بدون ائتلاف!؟ ص(70)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاتـــــمة

إن المولدي شعباني صيحة حقيقية تتمرّد متحدية سكونا قد أطال جثومه فخيار الحب آية المتقدمين بوحا لقريحته فدرّت لغته بمعاني كأنّها عقد من اللؤلؤ ينتظم في لبّة امرأة عشقها الكون برمّته وجاءت التراكيب سلاسل تشدّها الذاكرة حينا ويرمي بها الزمن إلى الواقع حينا آخر، عمق وفصاحة وجرأة في القول هو الشباب بعينه يفرح ثم يحزن و يتألم لذاكرة تمر.

هو الحبّ اذ يستبدّ (2)

شعر: صالح الطرابلسي

عُذّالِيَ...

فلتستريحوا إذن.

إنّي أموت

كلّ يوم فدى حبّها المرّات

والمرّات.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لكنّني واقف.

ها أنا في مثل سَرْوَلَةٍ

خضراء، دوما...

رِيانةَ الغصن!!!

أحبّكِ...

لا تسأليني لماذا.

لا يُسأل العشاق عن سببٍ

حتى وإن كرهوا

فكيف إن كان نهم

قد برّح العشق ؟!

✠ ✠ ✠

يا لائمي في الحُبِّ فلسفة

هو الحبّ البريء إذ

يستبدّ لا تشفى من دائه

النفس!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو الحبّ البريء إذ

يسطو...

سيف لحدّين يذبح

الحسّاد باليمنى.

وباليسرى،،،

فلنحذروا أيها القوم!

✠ ✠ ✠

لك الفضاءات ما بين

كربات الذمر الحمراء

فانزرعي في شراييني

وما بين ليلي وصبحي نسغا

ثلجيا!

وإن ضاقت بك الدنيا،

فانبذي الأفق الرحيب

في صحوة الانبهار،

ولتُضيئي مصابيح حُلم،

ما بين سراديب الظلام،

واختلاجات النور في

ضوء النهار!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فلتبحري في عمق الأسى

والفرحْ.

ولتشرقي في عمر الزّمان،

قوس قزح

✠ ✠ ✠

لكِ الجبال الشُمُّ.

لكِ الأرض،

وهامات البطاحْ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاغزلي الفجر ضياءً

في تباشير الصّباحْ!

لك الواحات الوارفاتُ،

فاستظلّي نحواسيَ الخمسِ،

فأنتِ بقلبي

حاسّة سادسهْ!

لكِ التربة الحبلى،

لكِ الوطن.

فازرعي الحُبَ فيه روحا

ما بين طيات المِحَن.

✠ ✠ ✠

اسبحي ما بين حبات الرمالِ

كأجرام بأفلاك السماءِ،

فجري فيها الينابيعَ،

ثم ابنيّ فينا خيلات

وورداً وريحانا . . .

لكِ دمي . . .

فتلحفي خُمرته،

ثم ادخلي جنتي . . .

أشعليها سلاما !

✠ ✠ ✠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في طرف عينيك حَوَرٌ، أَوَ. . .

في طَرفِهَا حَوَلٌ،

أحبّكِ!

لبس عنصريّا. . .

كالماء، كالهواء. . .

حبّي لكِ لا لون له سوى. . .

أنه يأخذ شكلك،

وله نكهة الكون، وله

حجمك!

أنت بجسمي جهازٌ

للتنفّسِ، ونُسغٌ

في دمي يُزهِر!

✠ ✠ ✠

حبّي لكِ. . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سنديانة بسفح "الشعنبي"،

تأبى الخناء برغم الأعاصير،

ونخلةٌ

تعتلي عرش الشموخ بواحاتِ

الجريد!

حبي لكِ...

رقصة الأقحوان يَضمُّ إليه

خصورَ السنابل في رعشةِ حلمٍ،

ذات ليلة قمراءَ صيفيةٍ،

في سهول الشمالِ!

✠ ✠ ✠

حبي لكِ...

صخبُ الشواطئ في الوطن

القبليّ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تغتسل بعطر الفلّ والياسمينِ!

حبّي لكِ هدير مُجردةَ،

حين يهطل الغيثُ ذات

خريفٍ!

ومواويلُ الفقراء حين

يُخصِبُ المطمورُ بالمزارع

الكبرى،

وتَرفُلُ في عشقها الضفّتان!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

✠ ✠ ✠

حبّي لك...

أرض تجود، حين يَصرَخُ العزمُ

في سواعد فلاح

حبّي لكِ...

عنقي يَصحو في عناقِدَ

الصّباح!

أحبكِ مهما قست بكِ الأيامُ،

يا أنت يا...

مؤسّستي!!!

✠ ✠ ✠

بي ظمأ الفلوات،،

وكبرياء النخيل يتوّجني،،

وزندي موشوم

بلون الكدح!...

بي لغة،،

قد اينعت فيها الأماني

وجنات...

عرضها السماوات

والأرض...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حبلى مواسمها !

وبي وطن للأغنيات،،

وربيع ألحانٍ،

دوها الأرجاز والأهجازُ

والخَبَبُ!

بي غضبي، وبي

صمتي!...

آتٍ إليك، فلا...

تقسي عليّ!

✠ ✠ ✠

سَنَةٌ على عُمُرٍ بلا فَرَحِ

قد مضى!...

صيفٌ على خريف بلا

سِنَةٍ قد هَمَى!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نلتقي حبيبتي، على حلمٍ

يكبُرُ في اللظى!

دُوامَةَ العمر عُوجي على

فسحةٍ في،

منحدر المُنحَنَى، وامْهلي

مقدارَ ومضةٍ...

في المدى، تقطفُ

باقةً من جمر طفولتنا

التي قد يدمّرها الحديدُ!...

نرسم للحُبّ خارطةً أخرى...

والقصيدة،،

تستعيد نكهتها الأولى،

فتشتعل بالضّياء!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغِنَاءُ عَالِيًا وبَعِيدًا . .

شعر: محمد الهادي بوقرة

لَمْ تَكُنْ غَامِضَ الوَجْهِ مِثْلَ التُّرَابْ
لَمْ تَكُنْ صَامِتًا كَالحَجَرْ
لَمْ تَكُنْ مُبْهَمَ السِّرِّ كَالمَاءِ،
بَلْ وَاضِحًا كُنْتَ مِثْلَ الكِتَابْ،
وَاضِحًا كَالشَّجَرْ،
وَقَرِيبًا عَلَى عِنَبَاتِ المَدَى كَالغَمَامْ . .
فَلِمَاذَا العِتَابْ ؟! . .
لَيْسَ لِلرِّيحِ ذَاكِرَةٌ كَيْ تُلَامْ
إِنَّمَا هِيَ عَادَاتُ أَنْفِكَ قَدْ جَاءَ يَغْسِلُهَا الطَّقْسُ،
فَلْتَشْكُرِ الآنَ مَاءَ الزُّكَامْ ! . .
لَيْسَ لِلشِّعْرِ مِنْ عَادَةٍ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فَإِذَا خَاتَلَتْكَ المَوَاعِيدُ وَالذِّكْرَيَاتُ فَلَا تَبْئَسْ!

إِنَّمَا تَقْتُلُ الذِّكْرَيَاتُ جَدِيدَ الكَلَامْ . . .

وَالقَصِيدَةُ . . تَبْقَى رَحِيلَا ،

سَفَرًا أَبَدِيًّا بِغَيْرِ وُصُولْ ،

وَاحْتِمَالاً جَمِيلاً ، . . فَإِذَا وَصَلَتْ ،

بَقِيَتْ نُسْخَةً فِي كِتَابِ الأُفُولْ . .

وَلَقَدْ حَاصَرَتْكَ البَلَاغَةُ فِي عُقْرِ بَيْتِ القَصِيدَةِ

إِذْ شَابَهَتْكَ السُّلَحْفَاةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَشَابَهْتَهَا ،،

فَاتَّخَذْتَ العِبَارَةَ بَيْنًا . . كَتِلْكَ السُّلَحْفَاةِ إِذْ حَمَلَتْ بَيْتَهَا ؟! . .

وَأَنَا لَسْتُ آسَى عَلَيْكَ . .

وَلَا قُلْتُ : <<لَيْتَكَ شَابَهْتَنِي! . . >>

لَا . . وَلَا قُلْتُ : <<يَا لَيْتَهَا! . . >> . .

إِنَّنِي الغَدُ كَوْنِي

وَلِيَ أَبَدِيَّةُ صَوْتِي

ولَمَا أَزَلْ قَادِمًا

ومَا كَانَ بَيْتُ القَصِيدَةِ بَيْتِي ،

هِيَ الكَلِمَاتُ طُيُورِي ، وحِبْرِي مُدَامُ . .

لَمْ أَكُنْ وَجْهَ شَيْءٍ . . ولَا ظِلَّهُ . .

كُنْتُ عَيْنَ الوُجُودِ ومَا زِلْتُ كُلَّهُ . .

وكَفَانِي كَيْ أَسْتَهِلَّ رَبِيعِي أَنْ تَتَفَتَّحَ قُبَّلَةْ

وتُزَقْزِقَ عُصْفُورَةٌ

ويُرَفْرِفَ عَبْرَ المَدَى حَجَلٌ وحَمَامْ

كَيْ أَرَى القَصِيدَةَ فِي عُرْيِهَا

وأَرَانِي طِفْلًا تَوَغَّلَ فِي حُلُمِهِ

. . لَمْ يَكُنْ قَصْدُهُ أَنْ يَنَامْ . .

بَلْ تَسَلَّلَ فِي نَوْمِهِ ،

قَادِمًا يَتَرَجَّلُ مِنْ غَدِهِ ،

وتَنَاهَى إِلَى يَوْمِهِ . . بِسَلَامْ . . .

تعـــالي

شعر : عبد المجيد اليوسفي

تعالي لنرسم أحلامنا

ونصبغ بالأقحوان الطريق

فحتى متى سوف يمضي بنا

عذاب فراق بنا لا يليق

ئ نبقى حزانى على وحشة

كلانا به موجة من حريق . . ؟ ؟

تعالي فإن الزمان دعانا

لنوقظ في الظلمة ذا البريق

ونمرج أحشاءنا بالهديل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونقضي على الجدب ريقا بريق

عسانا إذا ما احتسينا الندى

نتوه سكارى ولا نستفيق

على مفرش من ظلال الهوى

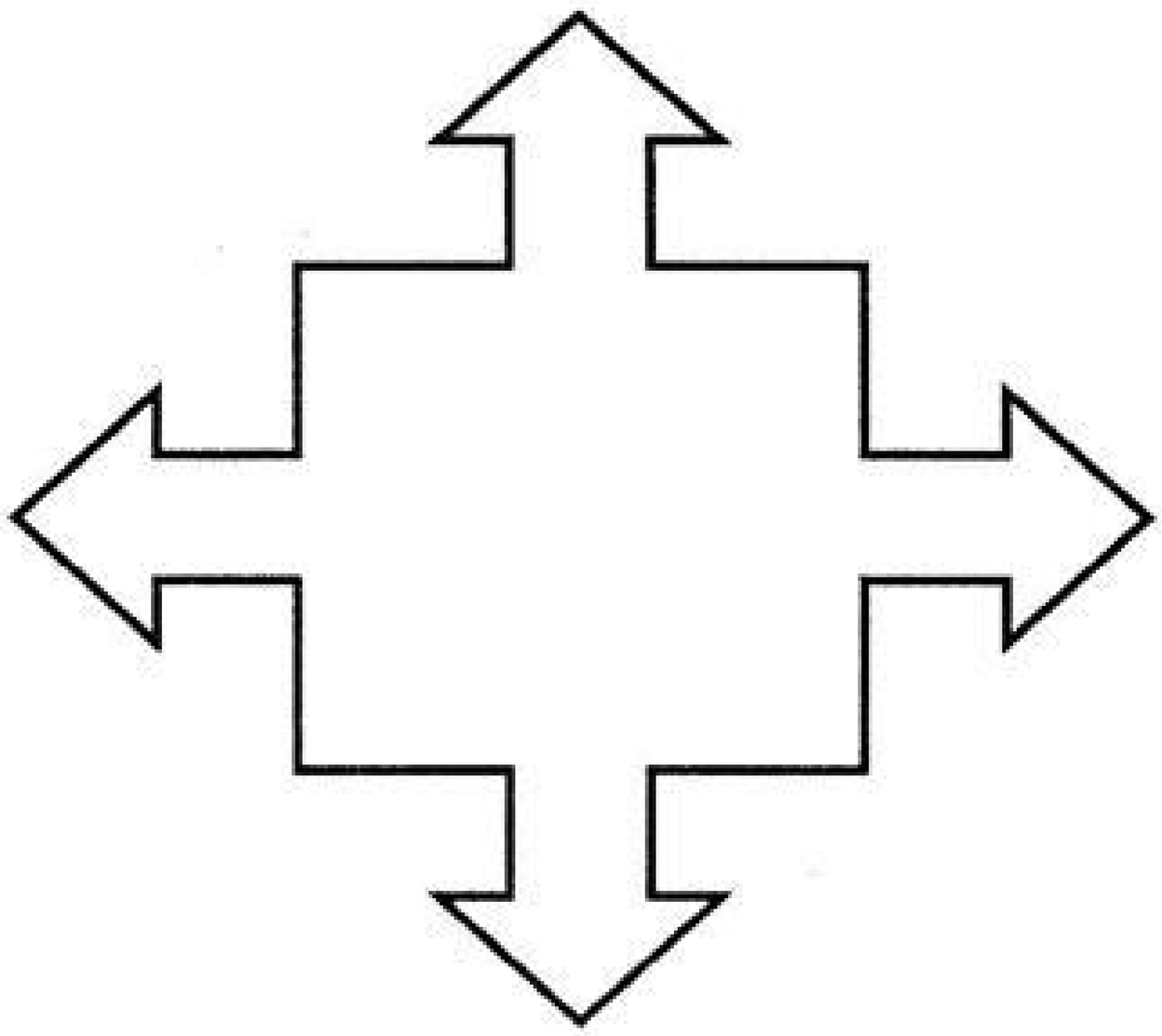
وحس من الانجذاب العميق

ونعلو إلى قمة في المدى

ARCHIVE

كسرب من الطير حر طليق

http://Archivebeta.Sakhrit.com



انزياحات . . .

شعر: الذهبي بلقاسم

منذ طفولتي

وأنا أرسم

مدن أحزاني

منذ طفولتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنا أدون أشواقي

في أكمام الندى

والنرجس والأقحوان

منذ طفولتي

وأنا أهرب

من جغرافية المكان

ألهث وراء التجلّي

وأبتاع حرية الحيتان

لم أكن يوما

واقعيا كالسماء

مطرزة هي ابتساماتي

بدموع النجوم

وهموم البؤساء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكيف يلومني رجل

حزرته

من شرقيته

أو شعر أخرجته فجرا

من عتمته

كيف تلومني امرأة

تعبت بر سمها يدي

أو غيمة

تطيبت بعطري

كيف يلومني فراش

قلّدته

في ترحاله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أو خطاف

سابقته في أسفاره

أو وطن حب بعثته من غياب

صارت قصائدي

تحكمه وتسكن ديارة.

موجعات القلب

بقلم : محمد بن علي

الوجع الأول :

أواخر الصيف في يوم رمضاني صعب المراس أطلت القرية المنجمية من بعيد وقد لبست ثيابا حمراء داكنة تحت شمس مسائية محرقة ... اقتربنا منها وهي تتسلق عنق جبل أحمر ارتفع عنانه إلى السماء والتفت عنها إلى الجنوب غاضبا وتركها وحيدة تنحدر شمالا حتى تصل إلى سهل واسع ينفتح هاربا إلى الغرب.... والغبار الحديدي الأحمر يخيم على المكان ملوثا بحرارة خانقة وبقايا آلات صدئة مغروسة في عظام هذا الجبل تمتص منه بقايا الحديد بعد أن نضب كلّ شيء...

أنا غادرت بلدتي الخضراء ذات الماضي الروماني العظيم بعد أن عينت مديرا لمدرسة ثانوية في هذه القرية... وعندما وصلت إلى منتصف الجبل في هذه القرية البعيدة انحدرت في طريق ملتوية وسط دور يجللها قرميد أحمر وبقايا مجد زال بعد أن رحلت عنها جالية فرنسية سكنتها قيما مضى...

وأطلت أمامنا بناية المدرسة... أربع قاعات تتربع في العراء والحارس يجلس أمامها على كرسي مزهوا بشعره الطويل وقبعته البيضاء ونظاراته السوداء تحجب عينيه ... كان يتبعني بعد أن استدعى المدير السابق

ويستمع إليه وهو يتحدث عن هذه المدرسة التي بناها الأهالي بجهدهم الخاص... هذا المدير يتحدث باعتزاز وشعور عميق بالراحة لأنه تخلص من عبء ثقيل ونقل إلى معهد في مركز الولاية وترك على عاتقي هذا الإرث الثقيل..

الوجع الثاني :

وضعت رأسي بين راحتي وأنا عائد من هذه القرية اللابسة ثيابا ملطخة بالغبار الأحمر... وأخذ رفيقاي في تناول الإفطار في نهاية هذا اليوم الرمضاني الشاق... وعجزت عن التفكير ... أي بلاء حل بي؟ ومن الذي دفع بي في هذه الهوة العميقة ؟ ... وهل يمكن لي أن أتراجع؟ وأنا الذي أتى منذ سبع سنوات مزهوا بمعارفي وكأني أملك مفاتيح الغيب... ورحلت وقتها في عوالم الأدب والشعر والفن... ووجد تلامذتي سحرا في هذه اللغة البديعة... فأحبوها...

دخلت في متاهات الانتماء والمسؤولية فإذا أنا مندفع إلى الصفوف الأمامية، وإذا الدنيا ملء العين والقلب ولا أحد يهمس في أذني حتى أستفيق من هذا الانزياح في الرمال المتحركة ... وهؤلاء سكان هذه البلدة يهتفون لكل صوت ويرقصون لمن يصفق... وتغوص اللآلئ في القرار وتعلو هذه الجيف في هذا البحر المضطرب... وبعد سنين تحطمت رقاب وصعدت فوقها ألقاب ولم يبق سوى صدأ يملأ جوانب الروح ويخنق جذورها اليانعة ... فإذا انا غير قادر على أن ألم شتات نفسي وسقطت كل الأقنعة ولم يبق لي إلا التكفير عن هذا الذنب...

فقلت في نفسي: لابد من الرحيل...

الوجع الثالث :

صحبة مساعدي ... هذا الرجل الطيب ... أثثنا قاعات الدراسة لاستقبال التلامذة في عودة مدرسية جديدة... وتغيب الحارس وهو العامل الوحيد بالمدرسة لقد قضى حياته معاقبا ومتنقلا من مدرسة إلى أخرى ... إننا لم نجد من بد سوى حمل الكراسي والطاولات على ظهورنا ووضعها في القاعات الشاغرة وانكب مساعدي على جداوله... وأنا ماذا بقي لي من حصاد السنوات سوى لحظات مشرفة تغلفها المرارة... وسريعا ما تنطفئ... فهذه المجموعة التي أتميت إليها بدلتني بقريب زعيم الجماعة هذا الذي أتى ليسوس البلاد والعباد... وأما انا فلا احد يسأل عني... ولا أحد يذكرني ... وباعوني كما لم تكن الخسارة... يا طالما صغت خطب استقبال وترحيب... يا طالما كتبت عن بلدتي وأوجاعها أصفها لكل ضيف أو مسؤول أو حبيب... يا طالما تحمست لفقرها وآلامها وأهلها الطيبين ، ولكن لم يبق لي الآن سوى أن اسلك هذه الصحراء وحيدا وبغير دليل...

الوجع الرابع :

هذه المدرسة الثانوية تقبع وحيدة في العراء والجبل الحديدي الأحمر قد أشاح عنها بوجهه والتفتت إلى شمس الجنوب رغم ان مساكن القرية قد تسلقت عنقه رغم انفه... القرية وأهلها ملك للمنجم... هذا المنجم الآن يحتضر وأنفاسه الأخيرة تصعد حارة من جوفه...الآن وقد

أتت السنون العجاف على كلّ شيء وعمال المنجم في حيرة من أمرهم... وهذه المدرسة آخر جهد لهؤلاء العمال قبل أن يلفظ المنجم أنفاسه الأخيرة ... لقد أصبح استخراج ما تبقى من مادة الحديد عسيرا وشاقا... فهذه آبار عميقة ترحل في أحشاء الجبل يهبط منها العمال إلى القاع... وكل يوم يروع الناس بحادث موت قريب أو حبيب... وأما من يعودون إلى النور من الدنيا العميقة فهم فئران مغاور ملطخون بغبار أحمر لبسوه وتنفسوه فملأ صدورهم..

أهل الحي المجاور يشربون من ماء المدرسة ويختلطون بتلامذتها في عنف وفوضى... وبعضهم قد اتخذ طريقا يمر بجانب القاعات دون أن يبالي بحرمة المكان... ولا احد يدفع الفوضى... ولا أحد يمد يدا تضمد الجراح...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوجع الخامس :

عملة المنجم يضجون في الفضاء الخارجي للمدرسة منشغلين ببناء قاعتين جديدتين... وبعض وجهاء القرية يتخاصمون بجانبهم وكل يعظم موقفه.. وبجانب المدرسة طريق استحدثه جار ذو رأس ضخم يمر منه كما يحلو له في سيارة تعجز عن حمله ... رافضا الابتعاد عن التلامذة ... وكيف السبيل إلى صده وصد أهل الحي المجاور وهم يأبون مغادرة فناء المدرسة ويتزودون منها بالماء الآتي من وراء سلسلة الهضاب الشمالية مجانا... يختلطون بالتلامذة ويعلو الصياح... شعور بالاختناق يلفني ورحابة هذا السهل الواسع سجان صامت والدنيا يعلوها

الشحوب والضباب...

الريح الآتية من بعيد تذرو هذا الغبار الأحمر على رأس الجبل وفوق المساكن التي تتسلق سفحه العالي ... فتبدو مضرجة بدمائه... ملوثة صامتة حزينة محتاجة على من يمسح دموعها... ولا شيء يصد الغزاة المحاصرين للمدرسة... ويدفع الأيدي الحديدية المطبقة على عنقي؟...

الوجع السادس :

شرع التلامذة في صنع قوالب من الإسمنت ... ومعمل الإسمنت المجاور يرسل ضبابا أبيض يأتي من الشمال... ومن الجبل في اتجاه الجنوب يملأ الغيم الأحمر المكان... ويكسو المنازل والأفق برداء شفيف... هذه القرية محاصرة... فمن الذي يفك حصارها ؟ ومن الذي ينظف رئتيها ؟ ... وقلت في نفسي لابد من بناء سياج يحمي المدرسة... ولكن هل هناك سياج يحمي الروح المعذبة في هذا القفز البعيد ؟ ... ومن يصد الغيم لأحمر والضباب الأبيض اللذين يخيمان على المدرسة ؟

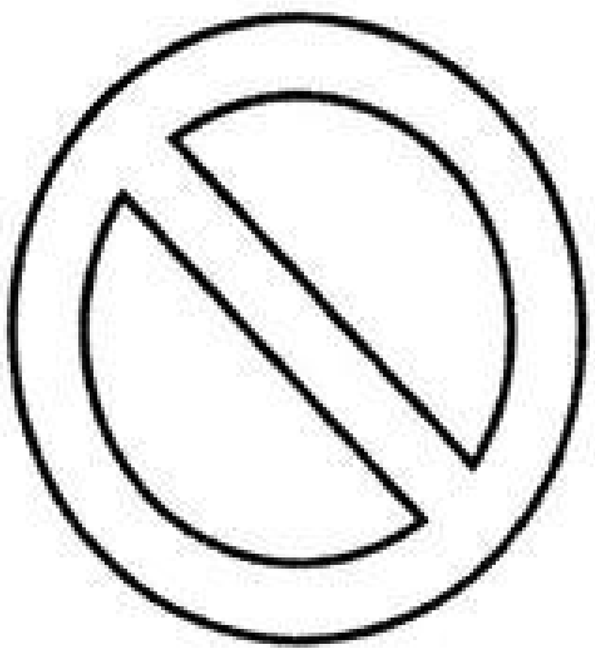
بدا جزء من السور يزهو تحت شمس الخريف وانتصب المدخل ببابه الحديدي حارسا أمينا ... ولم يعد أهل الحي المجاور يهجمون على المدرسة... أما أنا فكنت عاجزا على جمع شظايا الروح المتناثرة في هذا القفز البعيد...

الوجع السابع :

تضرجت يداي بالدماء... هذه الدماء التي أخذت تترف من رجلي

أيضا... ها أن السيارة الصغيرة التي جاد بها على المدرسة المسؤول الأول على ولايات الشمال قد اصطدمت بعربة ونحن في الطريق المبللة بالأمطار متجهين إلى الإدارة الجهوية في المدينة البعيدة... وقصدنا مديرا في هذه البلدة عسى أن ينقذنا ... ولكنه كان منشغلا يشؤونه الإدارية يتحدث إلى زميلين له في شيء ما ... وبقينا واقفين في الفناء ننتظر والمطر يهطل... أما أنا فقد أخذ الدم يترف من رجلي ويترف كذلك من يدي مساعدي... ما الذي دفعني إلى هذه المغامرة اللعينة ؟ وما الذي أنتظره بعد هذا ؟ ... وقلت في نفسي : إن عدت يوما إلى بلدتي الوديعة فلن أهتمّ إلا بشؤوني الخاصة وسأتخذ لي حديقة أهتم بها وأزرعها بشتى الأزهار... وحتما سأعود يوما ولو بعد سنوات العذاب... وأتمدد في فنائها الرحب وألامس ترابها والماء فيها... إنها أمي تنام في قبرها السحيق... وهي أمي سماء زرقاء ... وأرض خضراء... ودنيا من السحر والفتنة... وليال تشف فيها الروح غيما وطيفا وشفقا ورديا ...

فهل أعـــــود ؟



مـــــــدٌّ وجـــــزْر

قصة: محمد جوعو

ها هو البحرُ

يَنْحَسِرُ الآن

ها هو الرّملُ

يَنْتَصِرُ الآن

ها هو الجُرْحُ يَنْفَجِرُ الآن...

ينفجرُ الآن ...

من ديوان :الزّهر و النّار

للشّاعر المغربي ناجي علّوش

للبحر مَدُّهُ وجَزْرُهُ..وللسّماءِ القريبةِ،البعيدةِ زُرْقَتُهَا وعُمْقُهَا ولها أيضا ثقْبُهَا يرسل خِفْيَةً على رؤوس المَلإِ أشعّة فيها نواقيس إنذار!..وهو واقفٌ،متعبٌ،يائسٌ!...والنّاسُ..النّاسُ يَمْرَحُون،في غَيْرِ اكْتِرَاثٍ يعبثون..يَصْطَلُونَ تحت شَمْس أوسُّو وبسِيَاطِهَا الّتي تُلْهب أجسادهم يتلذّذون... وجهه بُرْقُعُ حِدَادٍ..عيناه بحر من الحزن،عليهما غشاوة بيضاء كالأكفان..هواجس تملأ رأسه وأطياف أشباح وأنين وعويل..عرق بارد يتصبّب من جبينه..مرارة في فمه ويُبْس وجفاف في حلقه وهو واقف مخطوف النّظر..شارد الذّهن..ضائع وسط الزّحام.. ينظر ولا يرى..يسمع ولا ينصت..سيجارته تفنى بين إصبعيه..والنّاس من حوله منغمسون في

أمورهم الخاصّة جدًا،لا أحد يعيره اهتمامًا،لا أحد يلتفت إليه ويتفطّن إلى ما هو عليه من تِيهٍ ويأس وضياع!...

موسيقى مَايْكِلْ جاكْسُونْ تملأ شاطئ ضاحية حمّام الأنف..ومن ورائه جبل بوقرنين يقف شامخا،شاهدًا على كلّ ما يحدث والشّاطئ يعجّ بالخلق والصّخب والضّجيج!...

طفلٌ عار يتبوّل في زبد البحر وأمّه تناديه،تلحُّ على بقائه قربها تحت المظلّة في الظلّ وتحثه على الابتعاد عن أشعّة الشّمس المسمومة..طفل ثان يمرح..يعبث بالرّمال..يبني قصورًا ويهدم قصورًا..يضحك ملْءَ شِدْقَيْهِ وبراءة الأطفال تشعّ من مُقْلتيه وأمّه تتبرّد هناك في البحر،تدفق الماء على وجهها ويديها فيتسرّب باردًا منعشا نحو صدرها المترهّل وثنايا بطنها...

صِبْيَانٌ وصَبَايَا يغوصون بأقدامهم في الماء والرّمل،ظهورهم محنيّة،أيديهم تلقلق الماء وبأصابعهم يجسّون المحّار القابع تحت الرّمال،يلتقطون ما تيسّر منه،يلقونه في أكياس بلاستيكيّة سوداء وضعوها حول رقابهم ورجل مفتول العضلات يراقبهم من بعيد!...

فِتْيَانٌ وفَتَيَاتٌ في ربيع العمر يلعبون الكرة،يقفزون ويضحكون،لا شيء في البال يلهيهم عن اللّحظة الّتي هم فيها يمرحون...أكتاف وظهور وصدور مصهودة بلهيب الشّمس،برنزيّة اللّون،ممدّدة على الرّمال،عطشى والماء قريب..حُصُرٌ ومناشف بألوان قوس قزح وقِفَافٌ وبَرَّادَاتٌ ومَدّاداتٌ تحت المظلاّت هنا..وخلق كثير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في البحر هناك...عجوز تدبّ على عكّاز عتيق معقوف،تتّجه نحو الماء وقطّ أسود يراقبها من بعيد،في عينيه خوف شديد...صيّاد بائس،قابع قرب قارب محطّم،يحدق بعينيه إلى البحر ويبكي!...

ريحٌ سموم تقذف صدره ووجهه برمل داكن اللّون،ممزوج ببقايا أصداف ميّتة وصدره ينقبض وقلبه يتفطّر ألمًا وحزنًا ،والجرح داخله يترف ولا ضمائد لديْهِ يُضمّد بها الجرح ويوقف النّزيف!...

كتاب قديم تعبث به يده اليسرى..يده الأخرى تعبث بالسّيجارة والسّيجارة تفنى بين إصبعيه!...

منذ عام،جلس على هذه الرّمال وكانت دافئة،ناعمة كالحرير،برّاقة كالعسجد...

منذ عام،جلس وهو يبتسم للأفق الأرجُوَانيِّ البعيد القريب...

منذ عام،وضع خلف أذنه مشموم فلّ وأحاط جيدها بعقد من الياسمين...

منذ عام،داعبت يده أناملها النّاعمة المخضّبة بالحنّاء..حدّثها عن آماله وأحلامه..عن حاضره وماضيه..حدّثها شِعرًا ونثرًا..عانقها وامتصّ الرّحيق من شفتيها...

منذ عام،همست والأفق في مقلتيها أنّها تحلم بطفل تكون عيناه كالبحر زرقة وعمقا وقال أنّه سيغذّيه عِلْمًا ويسقيه شِعْرًا ويصنع له من الفُلّ والياسمين ثوبا...وتبسّمت وتبسّم..ومشيا طويلاً على الرّمال والدِّفْءُ يغمر قلبيهما والنّسيم يداعب وجهيهما والشّمس في قلب السّماء

تضحك وصيّاد مرح،يتدفّق نشاطا،يخيط شباكا جديدة لقاربه الجديد ويغنّي ومعه صدى الموج يردّد:

يا عروس البحر❁❁ يا حلم الخيال

...ومنذ أيّام،تهالك على مقعد في رواق طويل أبيض متوتّر الأعصاب،ينتظر والقلق غشاوة سوداء في عينيه وجرح في صدره بدأ يترف...دخان سجائره يملأ الرّواق..أشباح بيضاء تتراقص أمامه،تختفي ثمّ تظهر،تدخل من باب لتخرج من آخر،تمشي على أطراف أصابعها كأنّها على الجليد تتزلّج...صوت حبيبته يأتيه من وراء أحد الأبواب المُسْتَنْسَخَةِ،البيضاء يستغيث..يخفت تارة وتارة يمزّق فضاء الرّواق تمزيقا...ممرّضة عجوز على وجهها غضون وتجاعيد تأتيه من حين لآخر ليقول له صوتها الأجشّ أنّ التّدخين ممنوع وأنّ الأعمار بيد الله وحده وأنّ الأطبّاء يبذلون كلّ ما في وسعهم لإنقاذها وإنقاذ الجنين في بطنها!...

اِزْدَادَ تشنّجا وتوتّرا..ألقى بعنقه على ظهر المقعد وأغمض عينيه واستنجد ببعض سور القرآن يتلوها في صمت...

أعاده صوتها المستغيث إلى متاهات روائح الأدوية والضّمائد والإبر والدّماء،يقتحم الباب الّذي يفصله عنها..يمزّق الصّمت الّذي ساد الرّواق هنيهة...أحسّ بقلبه يتدحرج في جوفه..اِستوى واقفا مذعورا يرتجف كطفل لا يصدّق أنّ عصفوره الصّغير الّذي انقضّ عليه قطّ أسود يمكن أن يصمت شدوه إلى الأبد...وضع يده على الجهة

اليسرى من صدره وفي محاولة فاشلة لإنقاذ عصفوره،تشبّث بتلابيب بقايا أمل كضوء قنديل ذبلت شعلته ونفد زيته..ثمّ راح يذرّع الرّواق الطّويل،الأبيض،البارد جيئة وذهابا...

...اللّيل ثقيل..ثقيل والزّمن استرخى على أحد المقاعد وتَدَثّرَ بسحب الدّخان الكثيف..وهو يدخّن..يطفئ سيجارة ليشعل أخرى،والقلق يبدّد أفكاره والجرح في صدره يترف وخلف الباب حبيبته تستغيث!...

حاول بكلّ ما تبقّى له من جهد أن يطرد الأشباح ويعيد تلاوة بعض السّور القصار...مرّ من أمامه شبح أبيض يسرع في اتّجاه أحد الأبواب يصيح،يطلب دمًا لِمَريضة في غرفة العمليّات تترف!...ارتجفت مفاصله..كاد يغمى عليه..تمالك من جديد على المقعد البلاستيكيّ البارد..تفرّس في عيني الشّبح،يستشفّ الأخبار،لكنّ العينين كانتا من حجر وزجاج كعيني تمثال من الشّمع في مُتْحَفٍ مُوحِشٍ لا تُنْبِئانِ بشيءٍ يُطَمْئِنُ!...

فجأة،دقّت السّاعة الصّفر..فُتِحَ أحد أبواب الرّواق المُسْتَنْسَخَةِ البيضاء،ومن ورائه أطلّ شبح على عينيه نظّارة أنْفِيّة،يرتدي ثوبا أخضر اللّون،طويلا..سأله والفزع في عينيه وقلبه في جوفه يسقط :- ماذا وراءك يا دكتور ؟!...

أشار الطّبيب إلى الممرّضة العجوز فاقتربت...وهو يجفّف بمنديل رماديّ عرقا تصبّب من جبينه،بثّ في أذنها كلاما أظهرت ملامح وجهه ذي

التّجاعيد خطورته،فاختفت العجوز دون أن يُحْدِثَ اختفاؤها وراء الباب صوتا..نزع الطّبيب نظّارته الأنفيّة..مسح ما علق بزجاجها من ملح وعرق...ثمّ بعد لحظات خالها الدّهر طولا ربّت على كتفه وغمغم:

- على مراد الله!...

- **ما..ماتت!...**

- **البركة فيك!...**

من شدّة الفزع كاد يخرج من عقله..دارت الدّنيا من حَوْلِهِ..طافت عيناه عبر الرّواق الأبيض،البارد،الموحش..امتلأ فمه علقما..غصّ حلقه..ارتعشت شفَته السّفلى..تشبّث بتلابيب الطّبيب وألقى برأسه على كتفه وكالثكلى انتابته نوبة من نواح وعويل!...

...عَرَقٌ غَزِيرٌ، بارد يتصبّب من جبينه وأشعّة شمس أوسُو سياط تلهب أمّ رأسه وفي رأسه أطياف أشباح بيضاء وأنين وصراخ وعويل...الجرح في صدره اشتدّ نزيفه وهو واقف مخطوف النّظر..شارد الذّهن..ضائع وسط الزّحام..ينظر ولا يرى..يسمع ولا ينصت..السّيجارة ماتت بين إصبعيه والنّاس من حوله منغمسون في أمورهم الخاصّة جدّا،لا أحد يعيره اهتماما،لا أحد يلتفت إليه.ويتفطّن إلى ما هو فيه من تِيهٍ ويَأسٍ وضياع!...

الصيّاد أشعل النّار في القارب المحطّم..النّار تتأجّج،تفترس الخشب والشّباك..والصّيّادُ يرقص حول النّار ويقهقه،يقهقه،يقهقه

ودموع غزيرة تنهمر من عينيه والأطفال من حوله يسخرون ويضحكون!...

العكّاز والقطّ الأسود والعجوز في البحر..القطّ يتخبّط في زبد البحر،يموء مواء فظيعا،ينشب أظافره في ظهر العجوز..العجوز تصارع الموج وتتخبّط والموج يدفعها بعيدا عن الشاطئ..أحد الشبّان يسبح في اتّجاهها وصبايا على الشاطئ يشجّعنه ويصفّقن..القارب التهمته النّار والصيّاد حوله ما زال يرقص ويبكي ويقهقه...وهو واقف ضائع وسط الزّحام والفوضى والضّجيج،عيناه بحر من الحزن..قلبه ينفطر ألَمًا فظيعا والجرح في صدره يشتدّ نزيفه..يشتدّ..يشتدّ..ويده تضغط على الكتاب..الكتاب كان قد قرأه معها منذ عام..يده الأخرى على الجهة اليسرى من صدره وما تبقّى من السّيجارة على الرّمل بين قدميه،وقدماه تغوصان في الرّمل وترتعشان...

فجأة،اختلج جسمه،تيبّست أطرافه،اصطكّت أسنانه وسقط على الرّمال حيث يموت الموج ويتكدّس الغثاء،ثمّ جعل يخور كالثور الخَصِيِّ..كمن انتابته حالة من الصّرع..من زاويتي فمه سالت رغوة كالزّبد بيضاء،اختلطت بأعشاب البحر وغطّت رقبته وصدره..طافت عيناه عبر البحر والشاطئ وجبل بوقرنين الشّامخ الشّاهد على كلّ ما حدث ثمّ جحظتا إلى ثقب السّماء القريب البعيد وتسمّرتا لتستقرّا هناك!...اِلْتَفَّ حوله النّاس..ضيّقوا عليه الخناق..منعوا عنه الهواء...

قال أحدهم:

- هاتوا مفتاحا ذكرا!..

وقال آخر:

- خرافات وخُزَعْبَلات!..أين الطّبيب،فتّشوا له عن طبيب!...

وكثر اللّغط والهرج والهراء...

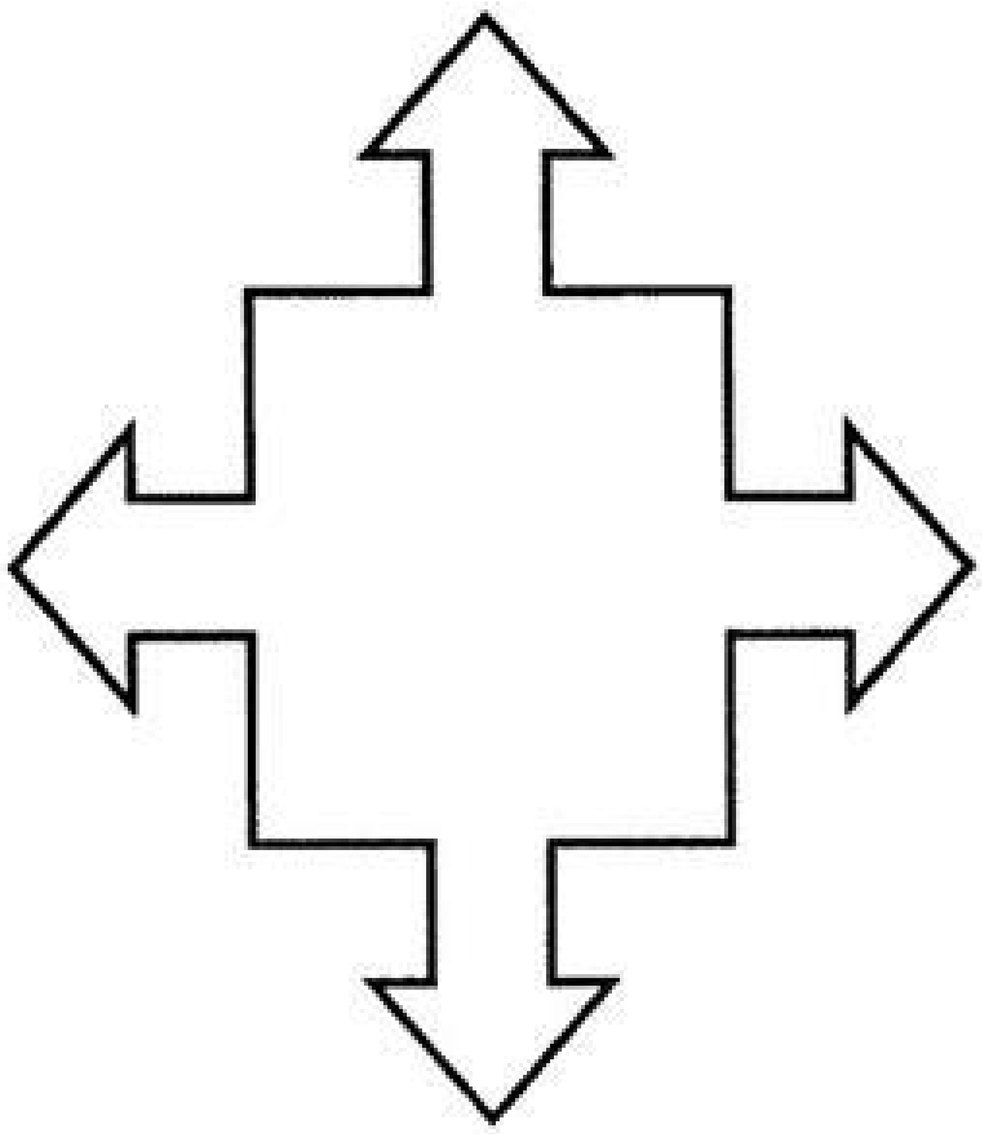
هرول طفل عار نحو الحلقة يبكي،ينادي أمّه الّتي أضاعها وسط الزّحمة...بين الأرجل..على الرّمال..نسي أمّه وانحنى يَلْتَقِطُ صفحة من بقايا كتاب كتب عليها:

هاهو البحرُ ❁❁ ينحسرُ الآن

هاهو الرّملُ ❁❁ ينتصرُ الآن

هاهو الجرحُ ينفجرُ الآن...

يَنْفَجِرُ الآن..! ❁



ذات الثوب الأسود

بقلم : حسني سيد لبيب

لا يشغل بالي شيء الآن سوى أمي المريضة. لا يشغلني سواها شيء. تركت عملي في العاشرة صباحا لألحق قطار الظهيرة، وأذهب إليها. وصلني اليوم خطاب من أخي.. خطاب مقتضب.. حياتي فيه بطريقة عفوية وأوجز في سلاماته التي كان يسهب فيها إسهابا مضجرا. الخطاب أشبه بمذكرة احتجاج على موقفي السلبي من أهلي بالزقازيق، وعتاب من أخي على إهمالي شئونهم وخشيته من ضجيج القاهرة التي يعزو إليها سبب هذا التغيير الطارئ في حياتي. وفي نهاية خطابه ذكر لي أن أمي مريضة، لكنه لم يطلب مني أن أحضر. تضايقت من أسلوب الخطاب، لكني عذرت أخي وأقمت علاقة بين عتابه وجمودي، فعرفت أنه على حق، ويجدر بي أن أقيم توازنا في حياتي، بحيث أؤدي واجباتي كلها دون تقصير.

طالما تقت إلى المال، وطالما بررت تصرفاتي على أساس أنها سليمة. لكن خطاب أخي جعلني اقلب الموازين التي اعتقدت فيها. وفي الحقيقة، ليس خطاب أخي هو السبب الرئيسي، وإنما ضيقي وتبرمي من كل ما حولي... علاوة على السأم والملل اللذين يدبان في كياني ويصيبان رأسي بالدوار... أحسست في الآونة الأخيرة بالضيق من تلك الطريقة التي أجابه بها الأحداث.. والتي أوزن بها تصرفاتي بميزان دقيق، دائما

أنتهي بقرار يرضى عنه منطقي.. دائما أجدني أطرح تساؤلا واحدا : هل ما أفعله أو أقرره يتماشى مع الصواب؟ لكني أحاول دائما ان أطمئن نفسي بأن كل شيء يسير في مداره الطبيعي.

قفزت في عربة مزدحمة... الزحام خانق، والناس تلغو بكلمات احيانا تكون طيبة وأحيانا تكون رغاء.. او لابد ان يتكلم الناس ؟ .. بجانبي فتاة نحيفة القوام، ذات هيئة رثة. ترتدي ثوبا أسود كالحا.. وفوقه "بأوفر" أسود .. مترب.. شعرها مهوش على الجبين.. مسكينة هذه الفتاة. يخيّل إليّ أن أطرافها تتثلّج، فالبرد قارس هذه الأيام، ويبدو أن ما ترتديه من ملابس رثة كالحة لا يفي بحاجة الجسم إلى الدفء والغطاء.

تذكرت حكاية زواجي من فتاة في مثل سنها وقوامها، سمراء مثلها.. إنها عايدة ابنة صاحبة المنزل الذي أقطن فيه.. وحين أعلنت رغبتي لأمها، قالت بغير اكتراث:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– يسعدنا ان تتزوج بنتنا .. يحصل لنا الشرف..

أغدقت عليّ بهذه الكلمات الحلوة، ثم سكتت، ومن يومها لازمت الصمت ولم تشر إلى الموضوع من قريب أو بعيد.ز وظللت أجتر كلماتها الحلوة طيلة الشهرين الماضيين، وانتظرت ما يعقبها من عمل إيجابي. فكرت كثيرا في موقفي السلبي، وهل من الواجب أن أحادثها في الزواج مرة ثانية؟ لكني وجدت صوت العقل يصخب في أعماقي بأن ألزم الصمت، فإن لي كبرياء لا يجدر بها أن تسفح... لقد بحت برغبتي وعليهم ان يبوحوا برغبتهم، وظللت ملتزما الصمت، فهذا هو الشيء

المنطقي المقبول... لكني في قرارة نفسي ضجرت وسئمت، وأحسست بالحياة قاسية غير معطاء، وإن اعطت فلتأخذ منا أكثر مما أعطتنا. ثم جاءني خطاب أخي، المقتضب، فأحسست بصدى كلماتي ترن في أعماق نفسي.

العربة مزدحمة، وكتل الناس المتراصة بجانبي تتقاذفني يمنة ويسرة، فأضطر إلى لمس الفتاة الحزينة الكاسفة البال... ثم اعتذرت لها رمتني بنظرة قاسية.

لكم ضايقني الزحام والصخب والكلام الممجوح.. خلا مقعدان فدفعت الفتاة كي تجلس، ثم جلست بجوارها.. فهذه فرصة للتخلص من الزحام الخانق.

استعرضت حياتي في صور متلاحقة متتابعة، فوجدت أني اعيش على هامش الحياة.. ودائما اخشى ان أغوص في أعماقها، بدافع من المنطق... شردت طويلا، أفقت.. فوجدت الفتاة ترمقني وترقب ما أنا فيه من شرود. حقا، لا يجدر بك أن تفصل نفسك عن الحياة وتشرد. لكن.. ماذا تفعل ؟ أتتحدث مع الفتاة؟ إذن .. ماذا تقول لها ؟ أنت لا تعرفها، وهي لا تعرفك.. أنتما رفيقا طريق، وسرعان ما تفترقان. لن يستمر الحديث بينكما سوى دقائق... أشبه بتلك الأحاديث الممجوجة التي يصخب بها الركاب.. ليس من اللائق أن تتكلم لمجرد الكلام. الزم الصمت، وفكر في امك المريضة. لابد أن تفكر كيفية إرضائها بعد هذه الغيبة الطويلة. كم شهرا انقضى عليك في القاهرة ؟ خمسة .. لا، إنها

ستة أشهر تماما، على غير عادتك.. ويبدو أن تفكيرك في الزواج هو الذي ألهاك عن الاهتمام بأمك والسؤال عنها.

أفقت من شرودي على صوت الفتاة :

- كم الساعة ؟

- العاشرة والنصف

وعدت إلى شرودي. رمقتني الفتاة مرة ثانية بنظرتها القاسية، لكنها لم تقل شيئا. ما بالي أشغل نفسي بالفتاة ؟ صحيح انها فقيرة، ويبدو ان تأثري بحالها هو الذي شغلني بها، أو كونها في مثل قوام عايدة.. أوه.. توافه وفوارغ يصخب بها عقلي. يلزمني القليل من الراحة والهدوء. خبطات متتالية على زجاج الحاجز الذي يفصلني عن ركاب الدرجة الثانية.. لابد أنه المحصل. أبرزت له الاشتراك، ثم عدت مرة أخرى إلى ما كنت عليه، لكني أفقت سريعا على صوت المحصل ينهر الفتاة قائلا :

- التذكرة بقرشين .

- ليس معي سوى هذا القرش.

- لماذا تجلسين في الدرجة الأولى ؟ .. ألا تعرفين أنها بقرشين أم من مكرك وخبثك

تململت الفتاة وهمت بالنهوض، لكني دفعت لها القرش الباقي، وعاتبت المحصل بنظرة قاسية صامتة.

- متشكرة جدا ..

- عمل بسيط لا يستحق الشكر.

نظرت إلى الساعة، فقالت الفتاة :

- أأنت مستعجل، لابد أنك على موعد..

- أجل ..

ولم أزد .

نظرت من النافذة فألفيت محطة مصر تقترب. نهضت عن الكرسي، والفتاة تنهض في أثري. لابد أنها ستنزل في نفس المحطة.مسكينة هذه الفتاة.. قرشها الأخير دفعته للمحصل، لابد أن فقرها مدقع.

لم يزل أمامي ساعة ونصف على موعد قيام القطار، من الممكن أن أتناول غدائي وأشرب الشاي. مشيت قليلا، ثم وقفت أمام مطعم.. وحين هممت بدخوله، ألفيت الفتاة المسكينة تومىء إلي بأن أقف. ابتلعت ريقها، وقالت بصوت واهن:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- أنا جائعة .

فرحت لصراحتها. وإنها لفرصة طيبة للعمل الخير. سأحكي لأمي قصة لقائي بالفتاة. ستغمرني بدعواتها الطيبة، وتحسدني على تلك الخطوة الجديدة.. فهي دائما تتهمني بالبخل وعدم مساعدة المحتاجين. لا شك أنها ستفرح.

نظرت إلى الفتاة لا أدري ماذا أقول لها على وجه التحديد، أأدعوها للدخول معي؟ .. أم اسألها عن طعامها المفضل ؟ صمت فترة غير قصيرة، ويبدو أنها فهمت من صمتي أني وافقت، فقد دخلت المطعم بخطوات جريئة فانقدت في إثرها دون أن أتكلم.

تناولنا الغداء، وظللت أثرثر بكلمات كثيرة. أحسست بحاجتي إلى الكلام، والفتاة تنصت وتنصت، ولا يبدو عليها الملل.. وإنما ارتياح تام يبدو على سيماء وجهها، وإصغاء تام لما أقول. نظرات عمال المطعم تتجه ناحيتي، بعض الزبائن يتغامزون حولي.. لا أدري لماذا ؟ يبدو أن الفتاة بثيابها الرثة قد أثارت اهتمام الناس.. يبدو أنه منظر شاذ. منظري بذلك الهندام الأنيق مع تلك الفتاة ذات الملابس الرثة الكالحة. وبدأت أخاف. صوت المنطق يصخب في أعماقي، محتجا على سلوكي. لكني صممت على موقفي، لن أسمح للندم أن يتسرب إلى كياني. أحسست بحاجتي إلى المزيد من الكلام،أي كلام.. وليكن كلاما ممجوجا مثلما يتكلم الناس في لقاءاتهم العابرة. حدثتها عن حكاية زواجي الذي لم يتم، فضحكت.. ضحكت من أعماقها.. ونصحتني أن أطلب يدها مرة ثانية. وحدثتها عن أمي المريضة، وعن زيارتي لها بعد غيبة دامت ستة أشهر. كما حدثتها عن سأمي وضجري، وعن منطقي الأجوف. قلت كلاما كثيرا. الأطباق فرغت، فطلبت المزيد من الطعام، والنظرات لما تزل تحوم ناحيتي، والغمز واللمز أصبح فاضحا مكشوفا... ما سر ذلك يا ربي ؟ أليس هذا عملا طيبا ؟ لماذا إذن يقيد الناس تصرفاتي ؟ هل في الأمر جريمة ؟ تساؤلات عديدة فرضت نفسها، لكني أهرب منها إلى الثرثرة مع الفتاة. دفعني الضيق على أن استولد من الكلمات كلمات أخرى، وظللت على هذه الحال على أن انتهينا من الطعام تماما.. خرجت في خطوات متعثرة مضطربة، والفتاة تتبعني. لمحت صديقي أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأعرضت عنه، ودعوت الله ألا يراني. مشيت مع الفتاة وأنا ما زلت أثرثر. وبدأت أعاني ضيقا شديدا عجزت عن التغلب عليه، ولا سيما أن نفس النظرات التي لاحقتني في المطعم ما تزال تلاحقني في الشارع..

الفتاة ترمقني في شبه رثاء لحالي .. قالت :

– أتذهب إلى السينما ؟

ابتسمت ، لابد أنها تحاول أن تعالج ضيقي، قلت لها:

– أنسيت ما قلته لك من أني سأسافر بعد قليل لرؤية امي المريضة ؟ لابد أنك نسيت .. عندك حق .. فقد تكلمت كثيرا.. ولابد أنك مللت ..

ضحكت الفتاة وقالت :

– كنت أظن أن لك رغبة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتصنعت الدلال..

– عندك حق، فأنا متضايق بعض الشيء. مشاكلي الخاصة تزحم تفكيري.. أوه ! دعك من هذا .. أظن أن البرد شديد، سأشتري لك اثنين كيلو برتقال.. كي تتغلبي على البرد، لابد أن تأكلي وتأكلي ..

عرجت على فاكهي، واشتريت لها البرتقال.. حتى الفاكهي، أخذ يرمقني بنظرات قاسية، ويبتسم دون أن أفهم معنى ابتسامته.

– خذ يا بيه .. وهنيئا لك البرتقال.

احتضار العتمة

قصة: حنان الوحيشي

في ركن مهزوم كئيب تجلس سلمى على أوراق متناثرة.. تحضن لوحة رسمتها بحرقة مختنقة... كل الألوان شاحبة... الفراشات تلبس أكفانا رماديّة... الشمس تائهة في الأفق المجهول ملثّمة برداء أسود تنتحب رحيلا قبل الرحيل... والطيور حزينة أنهكها الشدو المغتصب.

نهضت سلمى متثاقلة.. تخنق الدمع في عينيها وتغصّ بالحرقة في صمت قاتل... علّقت اللوحة على جدار هرم مكان ساعة قديمة أرّقها زمن العتمة وأقرفها الملل، وبيدين تائهتين كانت تداعب عقاربها المتجرّدة من جميع الأزمان وتسائلها في صمت جارح...

- كم يوم مضى؟ هل هي أيّام آفلة؟ أم غافلة؟ أم ثواني مسعورة تلبث... وتلبث وراء القدر المختوم؟ فأين حلمي من هذه العقارب التي تدور وتدور... حتّى تصل إلى ساعة الصفر... هل هي ساعة البناء أو ساعة الفناء؟ أم هي ساعة المخاض وولادة أيام جوفاء؟! فمتى يكون الصفاء؟...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضاعت أسئلة سلمى وسط الظلام وعاد الصمت يخيّم على أركان البيت...

تلاشت الكلمات وتهاوت، سالت دموع سلمى وانحدرت إلى الحضيض حتّى يرتوي اليأس وينتعش... رمقت الغرفة بنظرات ضائعة وصرخت بصوت مرتعش تنادي أختيها التوأمين "زينة وبشرى" ولم يجبها سوى صدى صوتها فلا أحد في المكان سواها...

خرجت متعثّرة الخطى تجوب دروب الضّياع وعيناها تحملان دموعا أرّقها الخوف من المجهول... من العتمة... كانت تنادي وصوتها يتلاشى وسط حزنها وخوفها.. اختنقت... فجلست على الرصيف تستعيد أنفاسها، إذ بزينة تظهر متّجهة نحوها في جزع تحثّ خطاها حتّ تقترب منها، أخبرتها أن أمين قد انتزع الحبل من رقبة الكلب واتجه إلى زيتونة الجدّ ليشنق نفسه...

شعرت سلمى برهبة وداهمها الإغماء من فرط الخوف على مصير أمين، جرت زينة بسرعة جنونية وسلمى وراءها تصارع الخطى بأنفاس مختنقة، وبصوت متقطع قالت:"أمين... ألا تخاف الموت؟" قهقه أمين قائلا:" إنّي أخاف الحياة... وحين أموت هل ستضحكين أم ستبكين؟! .. يا لسخرية القدر!"

أجهدت سلمى نفسها راسمة على وجهها ابتسامة أرادتها عميقة، وردّت بتفاؤل مجهد:

"الحياة جميلة..."

ردّ أمين ببسمة مفتعلة:

"الحياة...! جميلة... !"

مسحت سلمى بكفّها على رأس أمين قائلة:

"الفرج قريب... لا تيأس فبعد العسر يسر"

ردّ أمين بصوت مختنق:

-"بل ليست الأيّام سوى يوم يموت ويدفن في طيّات النسيان ويوم يولد ويولد معه موت جديد فمتى يأتي الغد المشرق؟ قرفت الضياع... تعبت من الأسئلة الموجعة... الأسئلة التي ينفرها كلّ جواب"

أجابت بشرى ونور الأمل يشعّ من عينيها:

-"غدا ستفتح سبعة أبواب ويكون لكلّ سؤال جواب.. يرقص الرباب ونودّع أغنية العذاب."

صرخ أمين :"إنّي اختنق.. أرى أحلامي تُشنق والأمان منّي يسرق... إنّي استنشق الموت"

- "ليتك تعرف معنى هذه اللحظات يا أمين وما أجمل الصبر فيها."

- "الصبر... ! ملّني وضجر منّي"

- "تذكّر كم تقاسمنا غربتنا وغربة الأشياء... كم تقاسمنا ثمرة اليأس وشبعنا بؤسا حتّى التخمة فلا تر الموت ودعنا نتقاسم الحلم.. نتقاسم الفرحة وندخل الفردوس من الأبواب السبع."

نظر أمين لسلمى نظرة واعية مؤجّجة بعذابات وأحلام عائدة بعد غربة طويلة وغرق في صمت لا يشبه صمته...

أخذت سلمى غصنا فتيا من الزيتونة وداعبت به راس أمين وبتفاؤل غير معتاد قالت:

-" إنّ هذه الشجرة هي شموخ الأمس البعيد ونقاوة الأجداد... هي مجد الأحفاد... وثروة البلاد فلا تشوّه زيتونة الياقوت بموت بائس جبان، فهذه الشجرة ارتوت بدماء الشهداء وغدا ستكون تاجا على رأس أميرة السّلام"

وقف أمين جامدا في مكانه يرى في يقظة حالمة سلمى تزفّ عروسا.. ترتدي فستانا بنفسجيّا وعلى رأسها تاج من أوراق الزيتون مرصّع بالياقوت الأخضر وتمدّ يدها للسماء فتمطر ياسمينا.

ومن جديد باغته اختناقا مميتا فارتمى في حضن سلمى وانفجر باكيا ضاحكا.

-"غدا تدفن الأوهام والقهقهات الساخرة، ترحل الأيّام المعدومة والدروب الحائرة..."

ثم حدّق في سلمى وأردف قائلا:

-" كم سئمت اللّون الأسود ! "

سافر الجميع في صمت غامض.. وشقّ همس بشرى الدافئ ذاك الغموض قائلة:

-" أين زينة"

أجابها أمين:

- "إنها في السوق تقبع على رصيف مهجور، تبيع أقنعة بشريّة.. رسمت عليها ابتسامات فضيّة... ناعمة... حالمة..."

ذهب الجميع إلى زينة وقد سرت في شراينهم دفقات تنضح بالأمل... بدفء النور... بجنون الإرادة..

اقترب أمين من زينة قائلا:

- "دعيك من ابتياع البسمات"

- "بل إنّي سأوزّعها مجانا.. فكم اشتقت إلى الفرح... إلى الوجوه المبتسمة.."

ردّت بشرى بثقة وتفاؤل:

- "احرقي هذه الأقنعة وانثري رمادها بعيداً عنّا، فبعد اليوم لن نحتاج إلى ابتسامات مغتصبة مرسومة على أقنعة مغتربة بل سنعبّر.. سنتعلّم... سنفعل... سنبتسم... بعيدا عن المشانق، بعيدا عن الزيف."

قال أمين في انتشاء:

- "اليوم ومع الغروب سنودّع أغنية الضياع... ستتلاشى العتمة... سنوقّف الأزمان... ستتوقّف الأرض عن الدوران... وتلتقي الأكوان لتصادق على انطلاق عهد الأمان"

بكت سلمى فسألتها بشرى:

- "لم البكاء ! "

أجابتها بضحكة باكية:

- "غدا سنبكي فرحا وسيجهض الموت المترقرق في عيوننا... ستكون دموع الأمل... دموع الصفاء... دموع الانتصار والبقاء."

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استعدادا **للاحتفال باليوبيل الفضي لمجلة الإتحاف** خلال شهر ديسمبر 2009 فان أسرة تحريرها تتوجه إلى كافة أصدقاء الإتحاف وأحبائها الذين عايشوا مسيرتها وحضروا بإنتاجهم على صفحاتها فكانوا الداعمين لها والمساندين لمجهودها، وبذلك تحقق لها التواصل الفاعل والترقي المنشود.

وحرصا على أن يكون الاحتفال بالمناسبة المذكورة في المستوى المطلوب فإننا نتوجه إليكم راجين مدنا باقتراحاتكم في خصوص برنامج الاحتفالية التي تمتد على مدى يومين بمدينة سليانة وفي التاريخ المبين أعلاه راجين في الآن نفسه **بتواصل مساهماتكم في تأثيث صفحاتها وتعزيز محتواها**

ولكم من المجلة جميل الشكر و عظيم التقدير